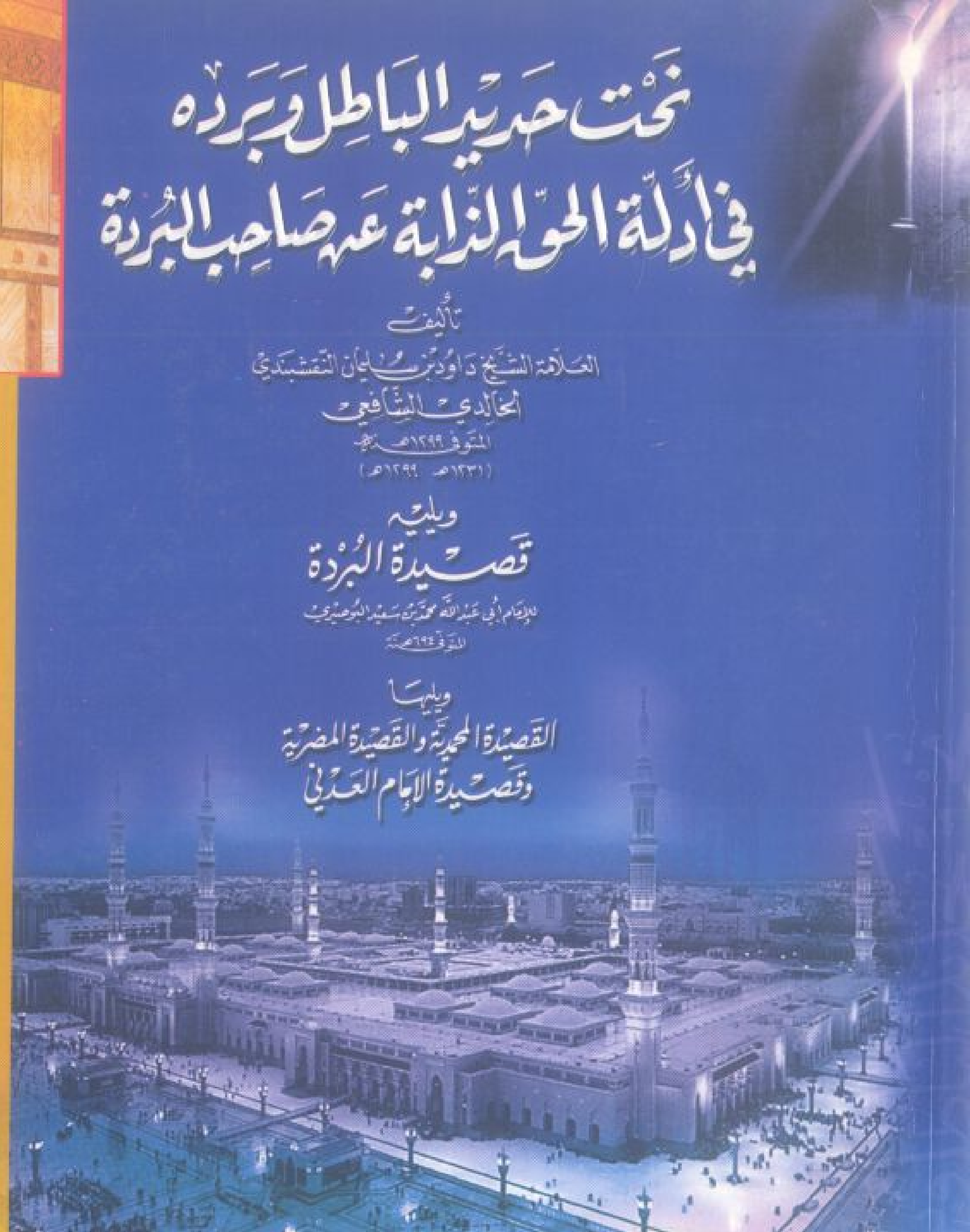


نحت حديد الباطل وبرده
في أدلة الحق الذابة عن صاحب البردة

تأليف

العلامة الشيخ داود بن سليمان النقشبندي
الخالدي الشافعي
المتوفى ١٢٩٩هـ
(١٢٣١هـ - ١٢٩٩هـ)

ويليه

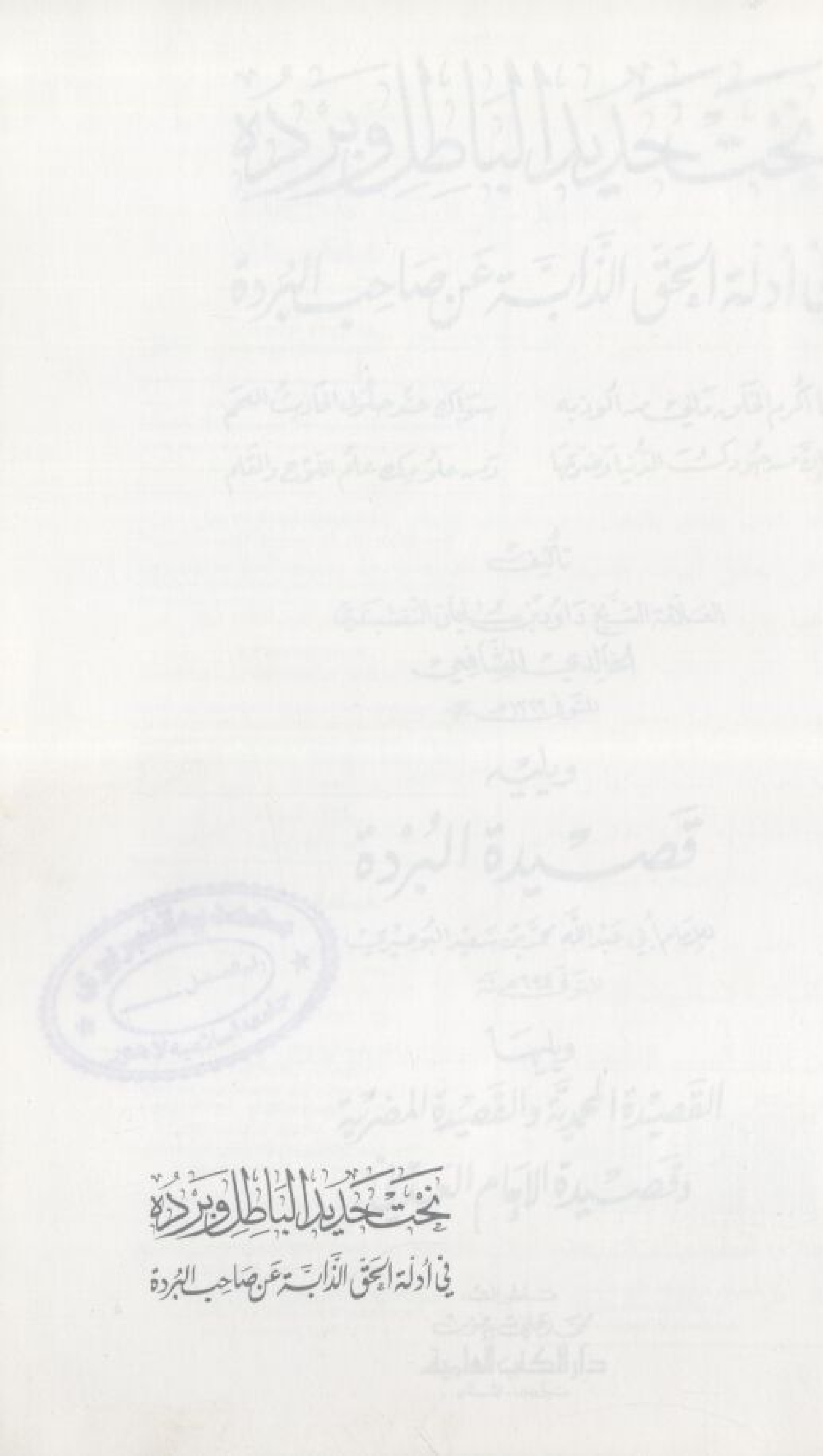
قصيدة البردة

للإمام أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري
المتوفى ٦٩٤هـ

ويليها

القصيدة المحمدية والقصيدة المضرية
وقصيدة الإمام العدني

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



نحت حديد الباطل وبرده

في أدلة الحق الذابة عن صاحب البردة

نحت حديد الباطل وبرده

في أدلة الحق الذابة عن صاحب البردة

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

تأليف

العلامة الشيخ داود بن سليمان النقشبندي

الخالدي الشافعي

المتوفى ١٢٩٩ هـ

ويليه

قصيدة البردة

للإمام أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري

المتوفى ٦٩٤ هـ

ويليها

القصيدة المحمدية والقصيدة المضرية

وقصيدة الإمام العدني

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٤م - ١٤٢٥هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ١٣/١٢/١١/٨٠٤٨١٠ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Rami Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Rami Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban



ISBN 2-7451-4471-5

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان على خير الخلق أجمعين سيدنا وشفيعنا وملاذها يوم يقوم الناس لربِّ العالمين.

أما بعد:

فهذا كتابٌ ينطق بالحقِّ، فيه البيان الشافي، والردُّ الوافي على من طعن في بعض أبيات قصيدةٍ ملأت الدنيا فرحاً وسروراً في قراءتها وسماعها منذ خرجت من فم ناظمها عليه رحمة الله ورضوانه، فكل من سمعها وتدبر أبياتها وعرف معانيها، تاقت نفسه لحفظها، وتكرار سماعها، ولكن لِمَ يحصل ذلك وما السبب فيه؟!

إنها قصيدة مُلئت أبياتها وحشيت بذكر الحبيب المحبوب نبّي الرحمة الشافع المشفع، الذي ذكره يحيي القلوب وينعش الأرواح، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

فلا أعظم من أن يسمع المرء - بعد كتاب الله تعالى - سيرة وحياة وأوصاف نبيه المحبوب ﷺ.

لكن ذلك النسيم اللطيف، وتلك اللحظات وإن طالت في الاستماع أو القراءة في السيرة العطرة بشتى صورها، لم تكن لتروق لبعضهم، فأسماعهم تشمئز من ذكر بعض المواقف والصفات العطرة لجناب هذا النبي العظيم ﷺ، فالتعليق والاعتراض يطولان حتى يوصلا صاحبهما إلى إطلاق الكفر والشرك وهدم أركان الإسلام، وحَلِّ عُقده، وغيره من الألفاظ على من يقول أو يؤيد ماتنفر منه أسماعهم وتبغضه قلوبهم.

هذا الفعل حصل ويحصل دائماً على بعض روايات السيرة النبوية، وبعض الكتب المُصنّفة فيها، ويلحق بها قصيدة «البردة» للإمام شرف الدين البوصيري فنحن نسمع على المنابر، وعلى كراسي الوعظ والدرس ما تشمئز منه النفوس من قولٍ بشرك صاحب القصيدة، أو أنه إذا قال في قصيدته:

ومن علومك علم اللوح والقلم. .

أنه ماذا بقي من علم الله إن كان النبي ﷺ عَلِمَ عِلْمَ اللوح والقلم، ومن يقول بمشابهة المُصنِّف للمشركين في قولهم في أصنامهم عند قوله في قصيدته:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به. .

إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إنَّ التكلم مع من هذا فكره ومنهجه، ليس يجدي في بيان الحق شيء، بل قد يجر إلى مالا تُحمد عقباه، فلن نطيل الجدال، ولن نكثر من الأخذ والرد مع من في قلبه مرض، فقد رأينا أنَّ المؤلف العلامة الشيخ داود بن سليمان قد كفّىٰ ووفّىٰ في الردِّ وبيان الحق في كتابه هذا، ولكن أحببنا أنْ تكون مقدّمتنا لهذا الكتاب بيان وترجمة أئمة الدّين الذين رووا هذه القصيدة وأثبتوها في كتبهم، وسمعوها مع سماعهم للكتب العلمية، واجتهدوا في حفظها حفظهم لمتون الفنون العلمية.

فممن رواها عن المُصنِّف:

١- الإمام المُفسِّر لكتاب الله العزيز أبي حيّان الأندلسي: محمد بن يوسف بن علي الغرناطي، صاحب تفسير «البحر المحيط».

٢- الإمام الحافظ محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس

اليعمري، صاحب السيرة الشهيرة «عيون الأثر».

٣- الإمام الفقيه سلطان العلماء عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي، صاحب «القواعد الكبرى».

٤- الإمام المحدّث محمد بن جابر الوادي آشي.

أما من رواها من العلماء والمحدثين فمنهم:

١- الإمام الحافظ زين الدين العراقي.

٢- الإمام المحدث الفقيه عمر بن علي المعروف بابن الملقن.

٣- الإمام المجتهد عمر بن رسلان البلقيني.

٤- الإمام الحافظ المحدّث أحمد بن علي بن حجر العسقلاني شارح البخاري.

٥- الإمام المحدّث الفقيه زكريا الأنصاري.

٦- الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي.

وغيرهم ممن لا يحصون كثرة كما أشار العلامة الشيخ داود في مؤلّفه هذا.

بقي أن نذكر على سبيل المثال لا الحصر من سمع «البردة» أو حفظها من الأئمة الأعلام.

١- الإمام إبراهيم بن علي القلقشندي = حفظها (الضوء اللامع ج١: ٧٧).

٢- الإمام إبراهيم بن علي بن ظهيرة = سمعها على أحمد بن إبراهيم الرشيدي (الضوء اللامع ج١: ٨٨).

٣- الإمام أحمد بن محمد بن محمد الجخندي = سمعها على العز ابن جماعة (الضوء اللامع ج٢: ١٩٩).

٤- الإمام عبدالرحمن بن أحمد بن فهد = حفظها و«الهمزية».

٥- الإمام أحمد بن خليل بن كيكلدي = سمعها على يوسف المشهدي (المعجم المؤسس ١: ٣٦٣).

٦- الحافظ ابن حجر العسقلاني = سمعها على محمد بن محمد الغماري (المعجم المؤسس ٣: ٢٤٦).

٧- الإمام مجد الدين الفيروز أبادي = سمعها على العز ابن جماعة (العقد الثمين ٢: ٣٩٣).

٨- الإمام محمد بن أحمد الفاسي صاحب «العقد الثمين» = سمعها على الفيروزأبادي.

وهناك من العالمات من سمعتها أو قرأتها، فمنهُنّ:

١- بيرم أحمد الديروطية = كانت تحفظها مع «العمدة» و«الأربعين» (الضوء اللامع ج١٢: ١٥).

٢- عائشة بنت أبي بكر المراغي = سمعت «البردة» على العز ابن جماعة (الضوء اللامع ج١٢: ٧٤).

٣- ست الأهل بن محمد بن فهد = سمعت «البردة» علىأحمد المرشدي (الضوء اللامع ج١٢: ١٤٦).

فهل كل هؤلاء مشركون، أو رضوا بالشرك والكفر على زعم الزاعم، سبحانك هذا بهتان عظيم.

اللهم نور بصائرنا وعقولنا، وألهمنا رشدنا، واحشرنا في زمرة عبادك الصالحين غير خزايا ولا مفتونين، وصلى الله وسلم وبارك على النعمة المعطاة، والرحمة المهداة، آمين يارب العالمين.

* * * * * * *

«ترجمة المصنف»[1]

هو العلامة الإمام داود بن بن سليمان البغدادي النقشبندي الخالدي الشافعي، ولد رحمه الله تعالى سنة ١٢٣١هـ في مدينة بغداد، ونشأ في حجر والده وحفظ القرآن الكريم، ثم قصر نفسه على العلم وطلبه حتى صار يقرىء الدروس وهو ابن ثمانية عشر سنة.

وقد كان من ذكائه أنه كان يحشي بعض العبارات من درسه وهو ابن خمسة عشر سنة.

ثم سافر بعد وفاة والده إلى مكة المكرمة وبقي فيها نحو عشر سنوات ثم رجع إلى بغداد وصار يدرس العلوم ويرشد العباد، ثم سافر إلى الشام وبقي فيها سنتين، وسافر منها إلى الحجاز ومن ثم إلى مصر، ثم الموصل ورجع إلى بغداد وبقي بها حتى توفي.

له من المؤلفات:

١- أشد الجهاد في إبطال الاجتهاد (طبع).

٢- صلح الإخوان من أهل الإيمان وبيان الدين القيم في تبرئة ابن تيمية وابن القيم (طبع).

٣- المنحة الوهبية في الرد على الوهابية (طبع).

٤- مناقب المذاهب الأربعة.

---

(١) مصادر الترجمة: حلية البشر للبيطار ١: ٦١٠، هدية العارفين ١: ٣٦٣، معجم المطبوعات ١: ٨١٤، الأعلام للزركلي ٢: ٣٣٢.

٥- دوحة التوحيد في علم الكلام.

٦- روضة الصفا في بعض مناقب والد المصطفى ﷺ.

٧- رسالة في الرد على محمود الألوسي.

٨- مسلي الواجد.

٩- تشطير البردة.

١٠- نحت حديد الباطل وبرده في أدلة الحق الذّابة عن صاحب البردة وله نسخة فريدة تم العثور عليها بحمد الله، وهي من محفوظات جامعة كمبردج، وبها تصحيفٌ وتحريفٌ كثير عملنا على تصويب ذلك من خلال المصادر المنقول منها.

توفي رحمه الله تعالى ببغداد قبيل المغرب ليلة عيد الفطر سنة ١٢٩٩هـ.

* * * *

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي أعطانا من خلع الإيمان بُرده وأذاق أذواقنا
من رائق شرابه بَرده ومنّ علينا بعقد عقائد قلوبنا على
الناس شفاعة حبيبه في الدنيا والآخرة وأعاد منكرها
العاري فيها من الخيبة العظمى بصفقة خاسرة
ثم ينكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء
من سقم والصلاة والسلام على صاحبها الشافع المشفع
ذي المقام المحمود المخصوص بكل مقام بالإضافة إلى منصبه
الأرفع

الأرفع الذي توسل به آدم فمن دونه فتاب الله عليه ولا
نهرع الخلائق حتى الرسل في الموقف المهول إلا إليه فتقتضب
به الطوائف كلها ويصد ويتضرعون لولها فأنالها بعد
امتناع أولي العزم أنالها فيا لولها والله من نعمه فما أشمل
جود هذا السيد المرتضى وما أعمه صلى الله عليه وعلى آله
وأصحابه المارقين بسهم سهامهم منه وبغضب غضبهم له
إرهاب المارقين والطاعنين بأسنة دلائلهم السنية الطاعنين
أما بعد فيقول الفقير إلى سيده ومولاه والراجي شفاعة
نبيه في دنياه وأخراه داود بن السيد سليمان أفندي البغدادي
أظهره الله بالحجة البالغة على كل عار من الأعاري أنا لما
سنة تسع وستين ومائتين وألف من هجرة المشرف كتاب
كريم فيه نبأ عظيم وهو أن لبعض من أخذ العلم علينا من أهل
نجد معه بردة المديح التي هي مرهم مجرب لكل جريح
مع

نموذج النسخ الخطية

نحت حديد الباطل وبرده

في أدلة الحق الذابة عن صاحب البردة

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به	سواك عند حلول الحادث العمم
فإن من جودك الدنيا وضرتها	ومن علومك علم اللوح والقلم

تأليف

العلامة الشيخ داود بن سليمان النقشبندي
الخالدي الشافعي
المتوفى ١٢٩٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعطانا من خِلَعِ الإيمان بُردَه، وأذاق أذواقنا من رائق شرابه بَرده، ومنَّ علينا بعقد عقائِد قلوبنا على التماس شفاعة حبيبه في الدنيا والآخرة، وأعاد مُنْكِرها العادي فيهما من الخيبة العظمى بصفقةٍ خاسرة.

قد تُنكر العين ضوء الشمس من رَمدٍ

ويُنكر الفمُ طعم الماءِ من سَقم

والصلاة والسلام على صاحبهما الشافع المُشفع ذي المقام المحمود المَخْفُوضِ له كُلّ مقام، بالإضافة إلى منصبه الأرفع الذي توسّل به آدم فمن دونه فتاب عليه، ولا تهرعُ الخلائق حتى الرسُل في الموقف المَهُول إلاّ إليه، فتستغيثُ به الطوائف كُلها يومئذٍ ويتضرعون له ولها فأنالها بعد امتناع أُولي العزم أنالها.

فيا له ولها والله من نعمة، فما أشمل جُودَ هذا السيد المُرجّى وما أعمّه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه المارقين بسهم سهمهم منه، ويغضب غضبهم له؛ أهاب المارقين والطاعنين بأسِنّة دلائلهم السَّنية الطاعنين.

أما بعدُ:

فيقول الفقير إلى سيده ومولاه، والراجي شفاعة نبيه في دُنياه وأُخراه، داود بن سليمان أفندي البغدادي أظهره الله بالحُجّة البالغة على كلّ عادٍ من الأعادي:

أتاني سنة تسعة وستين ومئتين وألفٍ من مكة المشرفة، كتابٌ كريمٌ فيه نبأٌ عظيم، وهو أنَّ بعض من أخذ العلم علينا من أهل نجدٍ، معه بُردة المديح التي هي مَرهمٌ مُجرَّب لكل جريح، مع تشطيري لها الذي امتزج بها وزادها رونقاً وبهاء. فرآه بعض طغَام في نجدٍ فأنكر بعض ماوجد فيها من التشفُّع وجدّ، وأنه كتب بعضهم رسالةً ينتقص فيها من مقام صاحب الرسالة، وأظهر فسالة كلام يدّعي فيه البَسالة من اعتراضاتٍ على بعض أبياتها واهيةٍ وما أدراكَ ماهيه؛ سَفافٌ وتُرهاتٌ، وعلى الجهل المركبِ دالآت، ويدعي أنَّ صاحب البُردة في قوله:

يا أكرم الخلق....

كفرَ، وحصلت له الرِّدةُ، وأنَّ من: قرأها، أو سمعها، أو كانت عنده أو رضي به؛ فقد كفر وتجاوز حدَّه، وأوجبَ بالقتل حدّه. فصار ذلك المُخبِرُ لي بكتابه والمُبدي مافي أوطابِه، يستنهضُ همَّتي لردِّ هذه الخرافات.

فقلتُ: عجباً؛ هؤلاء الأرجاس ما شبعوا من كُلِّ الخرافات حتى ظهر منهم هذه الأيام ظاهرٌ، يُثَابِر على تقويم مُعوج بدعتهم ويُظاهر.

فاستعنت الله تعالى على بيان ردِّه، وردِّ رِدتّه إليه وإلى حِزبه وجُنده، لتقرَّ بذلك عينُ مُحبي المُصطفى ﷺ ممّا راق من الأدلة القوية وصَفا، فهي لَعَمْرُ الله لا تحتاج لِظهور فسادها ردّ، ولا تُحسب شيئاً ولا تُعد.

ولكن تحاشياً عن دخول سَفاسفهم على بعض العقول، ليدفع ما يَتقوَّلُه هذا الخارجي بما تقوّل من أوضح النُقول، وسميتها: **«نحتُ حديد الباطل وبرده بأدلة الحقِّ الذَّابة عن صاحب البُردة»**.

ولنقدم قبل المقصود؛ ترجمة ناظمها وبيان فضله الشاهد بكماله المشهود.

قال ابن حجر رحمه الله تعالى في «شرح الهمزية» [١: ١٠٥]: «وأنَّ أبلغ مامُدح به النبي ﷺ من النَّظم الرائق البديع، وأحسن ما كَشفَ عن شمائله من الوزن الفائق المنيع، وأجمع ما حوته قصيدةٌ من مآثره وخصائصه ومعجزاته، وأفصح ما أشارت إليه منظومةٌ من بدائع كمالاته؛ ما صاغه صوغ التِّبر الأحمر ونظمه نظم الدُّر والجوهر، الشيخ الإمام العارف الهمام الكامل المُفنن المُحقق، والبليغ الأديب المُدقق، إمام الشعراء وأشعَرُ العلماء، وبليغ الفصحاء، وأفصح البلغاء الحكماء، الشيخ شرف الدين أبو عبدالله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبدالله بن صِنهاج بن هلال الصُنهاجي الدّلاصيري، ثم اشتهر بالبُوصيري، قيل: ولعلهُ بلدُ أبيه، فغلب عليه.

ولد سنة ثمان وست مئة، وأخذ عنه الإمام أبو حيّان النحوي[1]، والإمام اليَعْمُري أبو الفتح ابن سيد الناس[2]، ومحقق عصره العزُّ بن جماعة[3]، وغيرهم.

---

(١) هو: الإمام أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الغرناطي، ولد سنة ٦٥٤هـ. له اليد الطولى في التفسير والحديث وتراجم الناس، من أشهر مؤلفاته: «البحر المحيط». توفي سنة ٧٤٥هـ. (الدرر الكامنة ٤: ٣٠٢).

(٢) هو: الإمام الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري الشافعي، ولد سنة ٦٧١هـ. قال القطب الحلبي: إمام محدث حافظ أديب. من أشهر مؤلفاته: «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير» توفي سنة ٧٣٤هـ. (الدرر الكامنة ٤: ٢٠٨).

(٣) هو: قاضي المسلمين عز الدين عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الشافعي، ولد سنة ٦٩٤هـ. قال الإمام السبكي: كان كثير العبادة، كثير الحج والمجاوره، من أشهر مؤلفاته: «هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك». (الطبقات الكبرى للشافعية) ١٠: ٧٩.

توفي سنة ستٍ أو سبعٍ وستين وست مئة على ما قاله المقريزي، لكن صوّب شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني أنَّ وفاتهُ سنة أربع وتسعين وست مئة.

وكان من عجائب الدهر في النظم والنثر، ولو لم تكن إلاَّ قصيدته المشهورة بـ«البُردة» التي ازدادت شهرتها إلى أن صار الناس يتدارسونها في البيوت والمساجد؛ لكفاه شرفاً وتقدماً[1].

وأما من رَوَىٰ هذه القصيدة، و«الهمزية» من العلماء الأعلام، ومصابيح الظَّلام؛ فَخَلقٌ لا يُحصَون، منهم ماذكره ابن مرزوقٍ[2] شارح «البردة» بمجلدين كبيرين[3].

قال: وقد حصلت لي روايةُ هذه القصيدة، من ذلك: أني سمعتُها بقراءة الشيخ [العلامة] المُحدِّث المُكثر الحافظ شهاب الدِّين أبي العباس أحمد الرشيدي المكي سنة اثنتين وتسعين وسبع مئة، على الإمام العَلّامة الشهير المُكثر الرَّحال المُحدِّث الراوية ذي الفنون الغريبة والتآليف العجيبة، مجدِ الدِّين الفيروزأبادي العراقي صاحب «القاموس» نزيل مكة المشرفة، وأخبرنيها عن الإمام العلاّمة قاضي القُضاة عز الدِّين أبي عمرو عبدالعزيز ابن الإمام العلاّمة قاضي القُضاة بدر الدِّين أبي

---

(١) العبارة من قوله: «...التي ازدادت شهرتها...» إلى آخره، ليست في مطبوعة الشرح المذكور.

(٢) هو: العلامة أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق التلمساني، ويعرف بحفيد ابن مرزوق. ولد سنة ٧٦٦هـ. له كثيرٌ من المصنَّفات من أشهرها شرحاه على «البردة». (الضوء اللامع ٧: ٥٠).

(٣) سماه: «إظهار صدق المودة في شرح البردة» ويقع في (٢٩٧) لوحة. وله شرحٌ آخر مختصر من هذا الشرح سماه: «الاستيعاب لما في البردة من المعاني والبيان والبديع والإعراب».

عبدالله محمد بن جَماعة الكناني المصري الشافعي، عن الناظم.

(ح) وحدثني بها إجازةً عن ابن جماعة المذكور غير واحد من أشياخي الأعلام، منهم: الأئمة الثلاثة المصريون حُجَجُ الإسلام وحاملو راية سُنَّة النبي عليه الصلاة والسلام: أبو حفص عمر بن رسلان بن نصر بن صالح البُلقيني، وعمر بن علي بن أحمد بن محمد الأنصاري - الشهير بابن المُلقن -، ووحيد دَهره وفَريد عصره زين الدين ابن العراقي.

(ح) وحدثني بها إجازةَ العلامة النَّحوي، أحد النُّحاة بالديار المصرية، شمس الدين أبو عبدالله محمد الغُماري، عن أبي حَيان، عن الناظم.

(ح) وحدثني بها إجازةَ الشيخ الفقيه الإمام النحوي اللغوي الأعرف، الحافظ المُتقن الراوية الصالح العارف، أبو العباس أحمد بن محمد الأزدي - الشهير بالقَصَّار - وله على القصيدة شرحٌ ذكر فيه نُبذاً من اللغة والإعراب، عن الشيخ المُحدِّث الشهير الرَّحال محمد بن جابر القيسي الوادآشي، بحق سماعه من ناظمها، والحمد لله حقَّ حمده.

قال الشيخ ابن حجر رحمه الله تعالى[1]: وقد حَصّلتُ رواية هذه القصيدة وغيرها من شعر الناظم من طُرقٍ متعددةٍ، منها - بل أعلاها -: [أني] أرويها عن شيخنا شيخ الإسلام وخاتمة الحُفاظ، أبي يحيى زكريا الأنصاري الشافعي، عن العِز [أبي محمد] بن الفُرات، عن العز ابن بدر ابن جماعة، عن ناظمها.

وعن حافظ العصر ابن حجر العسقلاني - يعني شارح «البخاري» -، عن الإمام المُجتهد السِّراج البُلقيني، والسراج ابن المُلقن، والحافظ زين الدِّين العراقي، عن العز بن جماعة، عن ناظمها.

---

(١) «المنح المكية في شرح الهمزية» لابن حجر الهيتمي ١: ١٠٩.

وأرويها أيضاً عن مشايخنا، عن الحافظ السيوطي، عن جماعةٍ منهم: الشُّمني الحنفي، بعضهم قِراءةً، وبعضهم إجازةً، عن عبدالله بن علي الحنبلي. كذلك عن العزِّ ابن جماعة، عن الناظم. انتهى.

وقد اشتمل هذان الإسنادان على جملةٍ من أساطين العلماء الأعلام، المقتدى بهم في أمور الدِّين.

وأما غير هؤلاء؛ فمما لا يحصى كثرةً، لأنها من زمان مؤلفها إلى هذا الآن، من رواها ألوفٌ مؤلفةٌ لا يدخلون تحت الحصر من أكابر العلماء وغيرهم.

فائدة: قد شرح هذه البردة جُملةٌ من أكابر العلماء، منهم: الشيخ ابن مرزوق التلمساني المالكي، الإمام المحقق المُحدِّث شرحين كبير وصغير[1]، ذكر في الكبير أنواعاً من العلوم، وشرحها الإمام العلاّمة أبو البقاء الحنفي شرحاً سمّاه: «العدّة في كُلِّ شِدّة»، وشرحها أيضاً العلامة المدقق جلال الدين المحلي، المُفسر للقرآن وشارحُ «جمع الجوامع» و«المنهاج» في الفقه[2]، وشرحها الحافظ الحُجة الشيخ زكريا الأنصاري[3] شيخ الإسلام، وشرحها الإمام المحدِّث شهاب الدين القسطلاني[4] شارح «البخاري»، واستعملها في كتابه «المواهب اللدنية» وطرز كتابه هذا بها، واستعملها في «سيرته» العلامة الحلبي مع «الهمزية»، وشرحها العلامة الثاني السعد التفتازاني قُدس سرّه النُّوراني صاحب التآليف السائرة في الآفاق، وشرحها العلاّمة النحوي الشيخ

(١) تقدم ذكرهما.

(٢) سماه: «تعليق لطيف على بردة المديح» وفي بعض المصادر بعنوان: «الأنوار المضيئة في مدح خير البرية».

(٣) سماه: «الزبدة الرائقة في شرح البردة الفائقة».

(٤) سماه: «مشارق الأنوار المضية في شرح الكواكب الدرية».

خالد الأزهري[1] صاحب «الأزهرية» وشرح «القواعد» و«التصريح»، وشرحها العلامة المحقق شيخ زاده الرومي الحنفي صاحب «حاشية البيضاوي» في عدة مجلدات، وشرحها السيد الغُبريني المُقرىء - ذكره الشهاب الخفاجي في «ريحانته» -، وشرحها علامة الروم الخادمي[2]، وشرحها العلامة عبدالسلام المراكشي المالكي[3] وذكر خواص أبياتها، وشرحها العلامة القباني البصري، ورأيت لها ثلاثة شروح في الفارسية.

وفي شرح العلامة ابن مرزوق ما يدل أنَّ لها شُروحاً كثيرة ينقلُ عنها ولم يسمِّها.

وأما من خَمَّسَها فكثيرون جداً، وسبَّعها على ما شُهِر العلامة البيضاوي صاحب التفسير المشهور[4].

فهل ترى أنَّ كُلَّ هؤلاء الناس من العلماء لم يعلموا أنَّ فيها شِركاً وكُفراً، أو خطأً، وأنت أيها الجاهلُ عَلِمته وتَنَبَّهتَ عليه، وهُم غَفَلُوا عنه وما تَنبَّهُوا؟!!.

أم علموا ذلك وغَشُّوا الناس..!، فما هذا وربِّ الناس إلا خَنّاسٌ يُوَسوِسُ في صدور هؤلاء الأرجاس. وسيأتيك من الحُجج القاطعة لاعتراض هؤلاء الأنجاس مايكشف عن قَلبك لِباس الالتباس.

ولا يخفىٰ أنَّ عصر مؤلِّفها مُتقدِّمٌ على عصر تقيِّ الدِّين ابن تيمية ومن بعده من أتباعه، وكانت هذه القصيدة بهذه الشُّهرة العظيمة في

(١) سماه: «الزبدة في شرح قصيدة البردة». (مطبوع).

(٢) سماه: «نشر الكواكب الدّرية».

(٣) يعتبر هذا الشرح من أبسطها وأخصرها، يقع في أربع لوحات. وقد ضمَّن الشيخ خالد الأزهري هذا الشرح وما ذكره المصنِّف من خواص، شرحه للبردة المسمى: «الزبدة في شرح قصيدة البردة».

(٤) طبع بعنوان: «الكواكب الدّرية تسبيع البردة البوصيرية في مدح خير البرية».

تلك القرون العديدة، فلم يُنقل عن أحدٍ من هؤلاء وغيرهم أنهم أنكروا عليها في شيء. إذ لو كان فيها من مخالف الشرع أدنىٰ شيءٍ؛ لوجب التنبيه عليه، فكيف إذا كان فيها الشِّرك المُخرج عن المِلّة كما يزعمونه الخوارج الأذِلّة، ولكن في هذا الزمان كما قال القائل:

لقد هُزِلَت حتى بَدا من هُزالها كُلاهَا وحتى سَامها كلّ مُفْلس

وقد ورد في الحديث الصحيح: أنَّ من علامات الساعة «أن يلعن آخر هذه الأمة أوّلها»، بعكس ما أمر الله وذكر عن المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر الآية ١٠]، واقتداءً بالرافضة والخوارج الذين كفّروا الصحابة الكرام وجعلوهم مُرتدين ومشركين بشبهةٍ هي أوهىٰ من بيت العنكبوت، فلِخيارِ هذه الأمة المحمدية أسوةٌ حسنةٌ بأصحاب نبيهم ﷺ.

ففي «البخاري» باب «قتل الخوارج والمُلحدين»: وكان ابن عمر رضي الله عنهما يراهم شِرار الخَلْق، قال: «وهم أناسٌ عمدوا إلى آياتٍ نزلت في الكفار، فجعلوها على المؤمنين».

وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية في «الفتاوىٰ» لمّا سُئل عن رجلين تكلما في مسألة التكفير: مَنْ أوّل من أحدثه؟

فقال: «إنما أصل التكفير للمسلمين من الخوارج والروافض الذين يُكفرون أئمة المسلمين، لما يعتقدون أنهم أخطاؤا فيه من الدِّين، وقد اتفق أهل السُّنة والجماعة على أنَّ علماء المسلمين لا يجوز تكفيرهم بمجرد الخطأ المحض، بل كُلُّ أحدٍ يُؤخذ من قوله ويُترك، إلاَّ رسول الله ﷺ، وليس كلُّ من يُترك قوله لخطأ أخطأهُ؛ يُكَفَّر ولا يُفَسَّق ولا يؤثم.

ثم قال: فإنَّ الله قال في دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ

أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة الآية ٢٨٦]. وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ قال: «قد فعلت».

إلى أن قال: ومن المعلوم أنَّ المنع عن تكفير المسلمين الذين تكلموا في هذا الباب، بل دَفعَ التكفير عن علماء المسلمين وإن أخطؤا، هو من أحقِّ الأغراض الشرعية، حتى لو فُرِضَ أنَّ القائل دفع التكفير عن من يعتقد أنه ليس بكافرٍ حماية لأخيه المسلم؛ لكان هذا غرضاً شرعياً حسناً، وهو إذا اجتهد في ذلك فأصاب، فله أجران، وإن اجتهد وأخطأ، فله أجرٌ واحدٌ.

فبكل حالٍ؛ هذا القائل محمودٌ على مافعل، مأجورٌ على ذلك مثابٌ إذا كانت له نية حسنةٌ، والمنكر له أحقُ بالتعزير». انتهى منه.

وقال ابن رجب الحنبلي في «شرح الأربعين النووية»: «رَوىٰ ابن مهدي، عن مالك قال: لم يكن شيءٌ من الأهواء في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وكان مالكٌ رحمه الله يشير بالأهواء إلى ماحدث من التّفرق في أصول الدّيانات من أمر الخوارج والروافض والمرجئة، ونحوهم ممن تكلّم في تكفير المسلمين، واستباحة دمائهم وأموالهم، أو في تخليدهم النار، أو في تفسيق خواص هذه الأمة، أو عكس ذلك.

فزعم أنَّ المعاصي لا تضر، وأنه لا يدخل النار من أهل التوحيد»، انتهى.

وقال أيضاً في شرح الحديث الثاني: «وهذه المسائل - أعني مسائل الإسلام والإيمان والنفاق - مسائل عظيمة جداً، والاختلاف في مُسَمَّياتها أول اختلاف حدث في هذه الأمّة، وهو خلافُ الخوارج للصحابة، حيث أخرجوا عُصاة الموحدين من الإسلام بالكُلّيَة، وأدخلوهم في دائرة الكفر، وعاملوهم معاملة الكفار، واستحلوا بذلك دماءهم وأموالهم» انتهى.

فهذا في حال تكفير الخوارج بالمعاصي، فكيف بمن يُكَفِّرُ علماء المسلمين بالسُّنن المُستحبة، أو الأمور المباحة. فكأنهم زادوا على الخوارج بدرجات، بل نزلوا عنهم بدركاتٍ، نسأل الله العافية.

فلنذكر محل اعتراض هذا المُعرض عن الحق، وهو بشقِّ خلافه لعصا المسلمين شق، فنقول وبالله التوفيق:

قال في الأصل والتشطير:

إن لم يكن في مَعادي آخذاً بيدي

ومُنقذي من عذاب الله والألم

أو شافعاً لي مما قد جنيتُ غداً

فضلاً وإلاّ فقل: يا زلة القدم

المطلوب من الرسول ﷺ الإنقاذ من عذاب الله، أي بالفعل، فإن لم يحصل بالفعل؛ فبالشفاعة.

فوازن بين قوله سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ [الزمر الآية ١٩] استفهام إنكار، وقال عن صاحب يس: ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يسۤ الآية ٢٣].

فهذا نص أنَّ من أراده الله بضُرٍّ، فلا مُنقذَ له ولا شفيع.

وقال تعالى ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ الآية [الانفطار الآية ١٩]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران الآية ١٢٨].

وقال النبي ﷺ لقرابته: «أنقذوا أنفسكم من النار، لا أُغني عنكم من الله شيئاً». حتى قال ﷺ لفاطمة بَضْعَته، سيدة نساء العالمين: «أنقذي نفسك من النار، لا أغني عنكِ من الله شيئاً».

وهل يجتمع في قلب عبدٍ الإيمان إلاّ بما ذكرنا من الآيات والأحاديث. والإيمان بقول القائل:

إن لم يكُنْ في مَعادي آخذاً بيدي.. البيت

وكقوله:

فإنَّ من جُودكَ الدُّنيا وضَرتَها...

والجود هو: العطاءُ والإفضال، والله تعالى يقول: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾ [الليل الآية ١٣].

وقوله:

ومِنْ عُلومكَ عِلمَ اللَّوحِ والقلَمِ...

وممّا جرى به القَلمُ في اللّوح؛ فواتح الغيب التي لا يَعلَمُها إلاّ الله، وغير ذلك من أمور الغيب التي اختصَّ سبحانه بعلمها، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل الآية ٦٥].

فيجوز على قوله:

ومِنْ عُلومكَ عِلمَ اللّوحِ والقلَمِ...

أن يُقال: لا يَعلمُ من في السموات والأرض الغيب؛ إلاّ الله ومحمد، انتهى.

فنقول وبالله التوفيق:

هذا الاعتراض بَاطِلٌ من وُجُوه:

الأول: أنَّ هذا الرجل يَزْعم أنَّ قول الناظم:

إن لَم يكُنْ في مَعادي آخِذاً بيدي...

وقولَ المُشطِّر:

ومُنقذي من عذاب الله والألَمِ...

أنَّ هذا الإنقاذ بالفعل، وأنه بغير شفاعةٍ، وأنه إن لم يحصل بالفعل؛ فبالشفاعة، لقول التشطير:

أو شافعاً لي ممّا قد جنيتُ غداً...

وليس كما زعم؛ لأنَّ الإنقاذ والأخذ باليد، هو أيضاً بالشفاعة. لأنَّ غير الشفاعة يكون استقلالاً من دون الله، ولا يتصور اعتقاد هذا من مؤمن، ولو كان بدوياً جاهلاً، والمُراد تنوع الشفاعة.

فالنوعُ الأول منها هو: الأخذ باليد والإنقاذ. وقد ورد هذا في الأحاديث الصحيحة التي اتفق عليها «البخاري» و«مسلم».

ففي حديث الشفاعة: «**فأقول: يارب، أُمتي أُمتي. فيقال: انطلق فأخرج من في قلبه مثقال ذرةٍ من خير. فأنطلق فأفعل، فأقول: يارب، أُمتي. فيقال: انطلق فأخرج من في قلبه أدنى أدنى مثقال حبّةٍ من خردل من إيمان. فأنطلق فأخرجه من النار**».

وكذلك ورد في حديث «الصحيحين»: أنَّ المؤمنين يُناشدون الله في إخوانهم، فيقال: أخرجوا من عرفتم، فيخرجون خَلقاً كثيراً. ثم يقال: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرةٍ من خير، أو أدنى مثقال ذرةٍ.

وثبت ذلك في هذه الأحاديث الصحيحة، فما المانع من إطلاق اللفظ؟ وهل هذا الإخراج، إلاّ الإنقاذ من العذاب.

الوجه الثاني: أنَّ النبي ﷺ في المعاد - وهو يوم القيامة - حيٌّ كحاله في الدنيا هو وجميع الخلائق، فلا مانع في ذلك اليوم أن يتسبب ويُخرج ويُنقذ من الشدّة، لأنه حيٌّ حاضرٌ.

وعند هذا الرجل وأشياعه؛ أنَّ الحيّ الحاضر له قدرةٌ بنفسه.

قال ابن عبدالوهاب في «كشف الشبهات» في جواب الحديث الصحيح: إنَّ الناس يوم القيامة يستعينون بآدم، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى حتى ينتهون إلى رسول الله ﷺ فيقول ﷺ: «**أنا لها، أنا لها**».

فأجاب عن هذا: «بأنَّ الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه، لا

نُنكرها، كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص الآية ١٥] كما يستغيثُ الإنسان بأصحابه في الحرب، أو غيره في أشياء يَقْدر عليها المخلوق». انتهى.

فإذا كان الحي الحاضر عند هؤلاء النّاس يَنْسبون له الفعل لأنه يقدر عليه عندهم، وصاحب «البردة» يُخبر أنه إن لم يكن النبي ﷺ (في مَعادي) وهو يوم القيامة (آخذاً بيدي فضلاً وإلّا فقل يا زلة القَدم) والنبي ﷺ وجميع الخلائق ذلك اليوم أحياءٌ حاضرون لهم قدرةٌ فيما يقدرون عليه في الأمور العادية الحسية، ونسبةُ الأفعال إلى فاعلها وأسبابها، جائزةٌ شرعاً وعُرفاً.

وذكر هذا الرجل أيضاً في تسويده الذي كَفّر به المسلمين المُتوسلين بالأنبياء والصالحين، قال: «والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية في: قتالٍ، وإدراك عدوٍّ، أو سَبعٍ ونحوه.

كقولهم: يا لزيد، يا لقومي، يا للمسلمين. كما ذكروا ذلك في كتب النحو، بحسب الأسباب الظاهرة بالفعل» انتهى.

فكيف ينكر إنقاذ النبي ﷺ أُمتهُ من العذاب بالفعل، ويجعله ممتنعاً، وأنه خِلافُ الشفاعة؛ مع أنَّ النبي ﷺ يومئذٍ حيٌّ، حاضرٌ، له قدرةٌ فيما يقدر عليه ذلك اليوم، ويقدر على ذلك كما هو في حال حياة الدنيا.

كما كان يرمي العدوّ وهُم ألوفٌ بكفّ تراب؛ فيعميهم. ويُروي الألوف العِطاش ويُشبعهم بقليلٍ من الماء والطعام بطريق التّسبُّب.

قال الصحابة الكرام رضوان الله عليهم: (كنّا في الحروب نتترّسُ برسول الله ﷺ) يعني: أنهم يجعلونه ﷺ كالتّرس، وهي: الدَّرقةُ، يتوقون به العدوّ.

وفي الحديث الصحيح: «إنكم تتهافتون على النار تَهافُت الفَراش،

وأنا آخذٌ بِحُجزكم لئلا تقعوا فيها».

وأعظمُ من هذا؛ أن الله نسب إخراج الكفار من النُّور إلى الظلمات، إلى الطاغوت، وهي الأصنام، مع أنها لا قُدرة لها بوجهٍ، لكن لما كانت سبباً للإخراج؛ نُسب الإخراج إليها.

وكذلك هنا؛ لما كان النبي ﷺ سَبَبَ الإنقاذ من العذاب، نُسب إليه الإنقاذ.

وفي: «الصحيحين» وغيرهما في حديث الاستسقاء من دعائه ﷺ: «اللهم اسقنا غيثاً مُغيثاً»، قال شُرَّاحُ الحديث والفقهاء من كلِّ مذهب، كما في: «شرح الإقناع»، و«المنتهى»، و«الزّاد» وغيرها: إنَّ معنى «مُغيثاً»: مُنقذاً من الشدة، مع أنَّ الغيث جمادٌ لا قدرة له. ولكنه لما كان سبب الإنقاذ والإغاثة؛ نُسبت الإغاثة والإنقاذ إليه.

وقد اشتهر عند العلماء قولُ العرب: أنبت الربيع البَقْلَ، و: منع البقاء تقلب الشمس. مع أنّ المُنبت في الحقيقة؛ هو الله. والمانع للبقاء هو الله.

وهذا يُسمونه: المجاز العقلي، وأمثالُه كثير في الكتاب والسنّة.

وقد قال تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾ [القصص الآية ١٥]، مع أن القضاء من الله. وقال الله في حقه ﷺ: ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الأعراف الآية ١٥٧]، مع أنَّ الواضع، هو الله تعالى، لكن النبي ﷺ لما كان سبباً؛ نُسب الفعلُ إليه، بل جَميع الأفعال تُنسبُ إلى من فعلها.

فيقال: فلان أعطىٰ، وفلان نفعني، ضربني فلان، أنقذني وأغاثني. وهذه الإطلاقات جائزةٌ بالاتفاق للأحياء الحاضرين المباشرين، ويَلزمُ على قول هذا الرجل؛ أن لا تنسب هذه الأفعال وغيرها إلى أحدٍ ممَّن

باشرها، ولا قائلَ به. لأنه حينئذٍ ينسد باب نِسبة الأفعال إلى فاعلها، ولا يقول بذلك عاقلٌ. بل ورد نِسبة الإنقاذ من النار إلى المعاني من الأعمال، لأنها أسبابٌ، والمُنقذُ في الحقيقة؛ هو الله.

فقد ورد في حديث صحيح: أنَّ النبي ﷺ قال: «رأيتُ رجلاً قد عُذِّب في قبره، فجاءت صلاته فأنقذته من العذاب».

والآخر؛ حجُّهُ أنقذه. والآخر؛ صيامُه. فإذا جاز نسبة الإنقاذ إلى المعاني لكونها أسباباً، فنسبتها إلى الذَّوات من باب أولى؛ خُصوصاً أشرف الذَّوات من المخلوقات.

أما قوله:

أو شافعاً لي مما قد جَنيتُ غدا. . . .

فمرادُهُ: إخبارٌ عن نوع آخر من الشفاعة، وهو كونه شافعاً لي باستغفاره، أو بدعائه، لا بفعله. فيشفع لي شفاعة ثانية مما جَنيتُ من الذنوب، فلا يؤاخذني الله بها، فلا أرى العذاب بالكلية، أو يزيد في درجاتي.

فقد ذكر النووي في: «شرح مسلم» عن: شرح القاضي عياض: أنَّ الشفاعة خمسةُ أقسام:

أولها: مُختصةٌ بنبينا ﷺ؛ وهي الإراحة من هذا الموقف، وتعجيل الحساب.

الثانية: في إدخال قوم الجنة بغير حساب، وهي ـ أيضاً ـ وردت لنبينا ﷺ.

الثالثة: الشفاعة لقومٍ استوجبوا النار، فيشفع نبينا ﷺ، ومن شاء الله تعالى.

الرابعة: الشفاعة فيمن دخل النار من المُذنبين. وقد جاءت هذه الأحاديث - يعني التي في: «صحيح مسلم» - بإخراجهم من النار، بشفاعة نبينا ﷺ، والملائكة، وإخوانهم من المؤمنين.

الخامسة: الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها، انتهى.

الوجه الثالث: يجوز أن يكون المراد بقوله:

إن لم يكن في معادي آخذاً بيدي

ومنقذي من عذاب الله والألم

الإنقاذ من هول الموقف؛ لأنه أشدُّ مايكون من العذاب، حتى إنَّ الناس يستغيثون بالأنبياء إلى أن ينتهوا إلى نبينا ﷺ، فيخلصهم من هذه الشدَّة التي يتمنَّىٰ الناس الخلاص منها؛ ولو يُؤمر بهم إلى النار؛ لما يرون من الأهوال، كما ورد في الأحاديث.

ولا شك أنَّ هذا إنقاذٌ من عذاب الله والألم، ولا يختص عذابُ الله بالنار.

ثم يشفع ﷺ شفاعةً أُخرى خاصةً بأمته: إما بغفران ذنوبهم، أو برفع درجاتهم في الجنة، أو إدخالهم فيها بغير حساب.

الوجه الرابع: أن المؤمن إذا تكلم بكلامٍ، فإيمانه قرينةٌ على أنه لم يُرد المعنى الضَّار في اعتقاده، لا يعتقد ذلك؛ لا سيما قرائن كلامه.

وهذا العالم النَّاظم يقول في قصيدته - بَعْد كَم بيت -:

ولن يضيق رسول الله جاهُك بي

إذا الكريمُ تجلَّى باسم منتقم

فمن هذا يُعلم: أنَّ صاحب «البردة» في قوله:

إن لم يكُن في معادي آخذاً بيدي. . . .

مُراده من حيث الشفاعة، لا الاستقلال، لأنَّ كلَّ مؤمنٍ لا يعتقد هذا، وإن أطلقه ولم يُقيدهُ بالشفاعة، لأنَّ المراد بها.

الوجه الخامس: أنَّ هذا الرجل يُنكر نسبة الإنقاذ من النار بالفعل لرسول الله ﷺ، لأنه غيرُ الله. ويقول: إنَّ الله نفى الإنقاذ عنه بقوله: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ [الزمر الآية ١٩]، وهو يذكر الأحاديث الصحيحة التي فيها نسبة الإنقاذ من النار إلى قريش؛ ولا يدري أنها رَادَّةٌ عليه مُدَّعاه الذي يدّعيه.

إذ يقال: كيف نفى الله الإنقاذ عن نبيه ﷺ، وأثبته لأقاربه من قريش في قوله ﷺ: «أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة: أنقذي نفسك من النار. . .»؟! فإنه ﷺ نَسَبَ الإنقاذ من النار لهم.

فإن قلت: إنَّ النبي ﷺ أراد أنكم تسبَّبوا في إنقاذ أنفسكم بالإسلام.

قلنا: وكذلك إطلاق كَلامنا، كإطلاق كلامه، مرادنا بقولنا:

ومُنقذي من عذاب الله والألم. . . . .

أي متسبباً في إنقاذي، أو مُنقذي بفعله؛ بأمر الله تعالى، كما تقدم في الأحاديث.

وقولي ثانياً:

أو شافعاً لي ممَّا قد جنيت. . . . .

فهذه شفاعةٌ أخرى غير شفاعة الإنقاذ، بل استغفارٌ للذنب. قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [محمد الآية ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء الآية ٦٤].

فالأولىٰ شفاعةٌ فعلية؛ بأن يُخرجه من العذاب بعد وقوعه فيه،

والثانية شفاعةٌ قولية؛ بأن يُحال بين المُذنب وبين المُؤاخذة، وهذا ظاهر.

الوجه السادس ـ من وجوه بُطلان اعتراض هذا الرجل ـ: أنه استدل بآيات القرآن على مدّعاه أنّ الإنقاذ لا يُنسب إلى النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾ [الزمر الآية ١٩] وأن هذا استفهام إنكار، يعني: أنت لا تُنقذ من في النار.

فانظروا يا أمة الدِّين إلى هذا الذي يدعي الاجتهاد، وأنه مذهبٌ يأخذ من الكتاب والسُّنّة، وهو لا يعرف معنى الكتاب ولا السُّنّة؟!!.

فنقول له: هل فهم النبي ﷺ الإطلاق كما فهمت، وأنه لا يُنقذ مُطلقاً حتى لا يُنسب الإنقاذ إليه، فإن قال: فَهِم النبيُّ ﷺ الإطلاق.

نقول له: فكيف يُخبر في أحاديث الشفاعة أنه ينطلق فَيُخْرِجُ من النار من في قلبه مثقال حبّةٍ من خردلٍ من خير!. وكيف يجوز أن يقول لربه: «أمتي، أمتي»، وهو منزل: أنت لا تنقذ من في النار؟ وكيف جاز له ﷺ أن يقول لأقاربه: «أنقذوا أنفسكم من النار»؟.

فإذا كان هو لا يُنقِذ، كيف يكون غيره مُنقِذاً وهو كافرٌ، وليس له قُربٌ من الله كَقُربِهِ ولا وسيلة كوسيلته؟.

وإن كان مافهم النبي ﷺ الإطلاق، بل فَهِم التخصيص بقومٍ مُعينين حكم الله بعلمه الأزلي ببقائهم على الكفر، وأنهم لا يؤمنون، كما قال الله تعالى: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة الآية ٦]، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس الآية ٩٦-٩٧].

قال البغوي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في أبي لهبٍ وولده.

فمعنى: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾ يعني: أفأنت تهديهم إلى الإسلام وهم ممن كتب عليهم الشقاوة والكفر الأبدي.

وأوّلُ الآية دالٌّ على ذلك.

قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ [الزمر الآية ١٩]، وكلمة العذاب قيل: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود الآية ١١٩]، وقيل: قوله: «هؤلاء في النار ولا أُبالي، وهؤلاء في الجنة ولا أبالي».

فإذا كانت الآية نازلةً في مخصوصين من الكفار، كيف يجوز أن يُستدل بها على عدم إنقاذ النبي ﷺ أُمتهُ المؤمنين من النار؟ وهو ﷺ قد أثبت لنفسه وللمؤمنين إخراج عُصَاةِ أُمته من النار!.

فمن هذا يتبين: أنّ كُلَّ من هداه النبي ﷺ إلى الإسلام، أو اهتدى به إلى يوم القيامة، فقد أنقذه من النار، وهو الذي لم تَحِقَّ عليه كلمة العذاب.

والدليل عليه: قوله ﷺ لقرابته: «أنقذوا أنفسكم من النار» أي: أسلموا وآمنوا، وقد أطبق المفسرون أنَّ آية: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾ نازلةٌ في هداية النبي ﷺ لبعض من حَكَمَ الله عليهم بعدم إيمانهم، وإلاّ فالنبي ﷺ حين نزلت الآية عليه وهو حيٌّ حاضرٌ قادرٌ على إيقاع الفعل - كما هو قول هذا الرجل وأشياعِه - وليس مراد الله بالآية أنَّ النبي ﷺ يُنقذ بعض من في النار في الآخرة، بل مرادُه في الدُّنيا من جهة الهداية.

وفي «السيرة» عن ابن إسحاق بسنده إلى حسان بن ثابت رضي الله عنه شاعر النبي ﷺ من قصيدة يرثيه بها بعد موته:

يَدلُّ على الرحمن من يقتدي به ... ويُنقِذُ من هول الخزايا ويُرشد

وإن نابَ أمرٌ لم يقوموا بحمله ... فمن عنده تيسير ما يتشدد

فقد وصف حسان رضي الله عنه وهو صحابيٌ جليلٌ النبي ﷺ بأنه يُنقذ من هول الخزايا، وأنَّ ذلك بسبب دلالته وهدايته من يقتدي به ويتبعه.

وأما استدلاله بقوله تعالى عن صاحب يس: ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾، فانظروا هل يصدر هذا من مجنون؟!، فإنَّ هذه الآية نازلةٌ في الأصنام التي اتخذها الكفار آلهةً وأرباباً من دون الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ﴾ الآية.

قال المفسرون ومنهم البغوي رحمه الله تعالى: أي لا شفاعة لها فتغني.

فالأصنام لا تُعدُّ من أهل الشفاعة، حتى تُقاس بصاحب الشفاعة ﷺ.

فما هذه البَشاعة والشَناعة ياعظيم الصَّقاعة، فهل يستدلُ من له أدنى تمييز على عدم شفاعة النبي ﷺ وإنقاذه لأمته بمثل هذا الدَّليل الباطل العاطل الذي يساوي فيه الأصنام بسيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام بعد ما أخبر تعالى نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى الآية ٥]، وبقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء الآية ٧٩] وهي مقام الشفاعة؟!.

وأخبر النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة التي بلغت مبلغ التواتر؛ أنه الشافع المُشفع في أمته، وفي غيرهم، كما في الشفاعة العظمى وعموم الشفاعة في الآيات القرآنية، حتى أجمع عليها أهل السُّنة والجماعة، ولا يُنكرُ بعض الشفاعة، إلاّ الخوارج والمعتزلة.

وظاهر كلام هذا الرجل؛ إنكار الشفاعة بالكلية، لقوله: وهذا نصٌّ في أنَّ من أراده الله بِضُرٍّ، فلا مُنقِذَ له ولا شفيع.

ومعلومٌ أنَّ من استوجب العذاب من المسلمين، أو دخل فيه، وشفع فيه الأنبياء والملائكة، أو المؤمنون. لا شك أنَّ الله أرادهُ بضرٍ، ونفعته شفاعة الشافعين.

قال البغوي رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ * حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ * فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر الآيات ٤٣-٤٨].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «يشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون، وجميع المؤمنين، فلا يبقى في النار إلا أربعةٌ». ثمَّ تلا قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ إلى قوله ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

وقال عمران بن حصين رضي الله عنه: «الشفاعة لكلِّ أحدٍ دون هؤلاء الذين تسمعون».

وساق البغوي رحمه الله تعالى بسنده إلى أنس رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ يَصِفُ أهل النار: «فيعذبون، قال: فيمر الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم: يا فُلان، فيقول: ما تريد؟ فيقول: أما تذكر رجلاً سقاك يوم كذا وكذا، قال: وإنك لأنت هو؟ فيقول: نعم، فيشفع له». الحديث»، انتهى كلام البغوي.

فكيف يجوز لمسلمٍ إنكار الشفاعة، وهو يدّعي أنه من أهل السنّة والجماعة، ويستدل عليه بآية الأصنام المُتخذةِ أرباباً؟!.

قال النووي رحمه الله تعالى في «شرح صحيح مسلم»: «قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: مذهبُ أهل السُّنة، جواز الشفاعة عقلاً، ووجوبها سمعاً بصريح الآيات والآثار التي بلغت مجموعها حدَّ التواتر، بصحة الشفاعة في الآخرة لمُذنبي المؤمنين. وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السُّنة عليها، ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة

منها، وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المؤمنين في النار، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾، وبقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر الآية ١٨]، وهذه الآيات في الكفار.

وأما تأويلهم الأحاديث بكونها في زيادة الدَّرجات؛ فباطلٌ، وألفاظ الأحاديث في الكتاب وغيره؛ صريحةٌ في بطلان مذاهبهم، وإخراج من استوجب النار». انتهى.

أقول: ولم يختلف أحدٌ من أهل السُّنة عن هذا، كما في جميع كتبهم، والله أعلم.

وأما استدلاله بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ الآية [الانفطار الآية ١٩]، ففي النَّفس الكافرة، فإنها لا شفاعة لها.

قال البغوي رحمه الله تعالى: لا تَملكُ نفسٌ لنفسٍ كافرةٍ شيئاً، وليس كلامنا في الكافر، بل كلامُنا في شفاعة النبي ﷺ في أمته. كيف وقد قال الله تعالى في حقه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء الآية ١٠٧] فالعموم الناس الرحمة في الدنيا برفع العذاب والمَسخ والخَسْفِ، وفي الآخرة الشفاعة العُظمى من هَولِ الموقف، ولخصوص أُمته في الدّنيا بهدايتهم به، وفي الآخرة بشفاعته بأنواعها الخمسة المتقدمة.

وأما استدلاله بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران الآية ١٢٨].

فيقال: هذه الآية نازلةٌ في أناسٍ من الكفار، كانوا آذوا النبي ﷺ، فدعا عليهم بالهلاك، وكان علم الله فيهم من يؤمن فقال: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾، فهذه الآية في ناسٍ مخصوصين، ونحن كلامنا في نفع النبي ﷺ أمته بالشفاعة، فقد أخبره الله بقوله:

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾، وأنزل له جبريل عليه السلام يقول الله تعالى: «إنّا سنُرضيك في أمتك ولا نَسُوءُك»، ولم يقل الله هنا: ليس لك من الأمر شيء.

وأما استدلاله بقوله ﷺ لقرابته وبَضعته: «لا أُغني عنكم من الله شيئاً».

فمعناه: إذا لم تؤمنوا بالله وبرسوله، لا أغني عنكم من الله تعالى. بدليل قوله ﷺ: «أنقذوا أنفسكم من النار» يعني: بالإسلام.

وهذا قاله ﷺ لما نزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء الآية ٢١٤] كما في «البخاري» و«تفسير البغوي». والنِّذارة للأقربين، إنما هي دعاؤهم إلى الإسلام، بدليل آخر الآية، وهي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء الآية ٢١٦].

قال البغوي: من الكفر وعبادة غير الله.

وبدليل ما في «البخاري» أنه ﷺ صعد على الصّفا، فهتف بقبائل قريش قبيلة قبيلة، وقال لهم: «إني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد» فنفروا وضحكوا منه، وقال أبو لهب: تبّاً لك، ألهذا جمعتنا. فلم يقبلوا منه النذارة، وأنزل الله فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ إلى آخر السورة.

وفي «السيرة الحلبية» في ذكر: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ قال: «وفي رواية «الصحيحين» أنه ﷺ دعى قريشاً فاجتمعوا، فعمّ وخصّ، وقال: «يا بني كعب، أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني مُرّة، أنقذوا أنفسكم من النار» إلى آخر القبائل، ثم قال: «فإني لا أملكُ من الدنيا منفعة، ولا من الآخرة نصيباً إلاّ أن تقولوا: لا إله إلا الله، غير أنّ لكم رحماً سأبلُّها ببِلاَلها» أي: أَصِلُها بالدعاء». انتهى.

فدلّ على أنّ مقصوده بقوله: «لا أغني عنكم من الله شيئاً»، إن لم تقولوا: لا إله إلا الله وتؤمنوا. ومعلومٌ أنه ﷺ لا يُغني عن الكفار شيئاً، وأما بعد الإيمان، فهو يُغني بالشفاعة الثابتة له ﷺ كما تقدم من الآيات والأحاديث والإجماع، وكيف لا يُغني النبي ﷺ عن قرابته وبضعته من الله شيئاً، وقد أنزل الله في حقّ أهله وبضعته وآله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب الآية ٣٣]، فهل هذا إلا لأجله ﷺ وكرامته على ربه، خصّ آله بعد الإيمان بما لم يخُصّ به أحداً من أُمته، أو كيف يقال: لا يُغني عنهم شيئاً؟ وهو ﷺ لما نزلت عليه هذه الآية، جمعهم وجلّلهم بكسائه وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

فهل هذا إغناءٌ وفائدةٌ لهم، أم لا؟ لا، بل هو يغني كُلّ من آمن به. قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب الآية ٦].

ففي «البخاري» عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «ما من مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا والآخرة، اقرأوا إن شئتم: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾»، الحديث ذكره البغوي.

أما اعتراض هذا المعترض على قوله:

فإنّ من جُودكَ الدُّنيا وضَرّتَها. . . .

فإنه هذيان محموم، أو هَمْهمةُ مَلْجوم، ولا سيما استدلاله بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾.

فيقال له: ومن قال لك: إنّ الآخرة والأولى لغير الله، أفلا يجوز أنّ الله يُعطي الدنيا لأحد وهو يَجُودُ بها، أو منها، أو ليس كلّ الوجود لله وقد مَلّكه الله لعباده، وهل إذا جادوا به، يخرج عن كونه مالَ الله؟!.

فما هذا الاعتراض الفاسد، والعقل الكاسد؟! وقد ورد أنّ الدنيا

والآخرة خُلقت لأجله ﷺ[1]، وورد في «البخاري»: أنه ﷺ أكرمُ من الريح المُرسلة، فما يضر لو أكرم بمال ربه، وهو حبيبه الأعظم، مع أن البيت مقولٌ على الفرض والتقدير.

وأما اعتراضه على قوله:

ومن علومك علم اللوح والقلم.

فقد قال الشُّراح: المراد باللّوح: مايكتبون الناس عليه، وبالقلم: ما يكتبون به. فكأنه قال: ومن عُلومك؛ علم الناس الذي يكتبونه بأقلامهم في ألواحهم. وعلى هذا، فلا ورود للاعتراض.

قالوا: ويحتمل أنّ المراد به: اللّوح المحفوظ، ولا يلزم على هذا الاعتراض الذي قاله هذا الرجل، لأنّ مُراده: علم اللّوح غير الفواتح الخمس، وما استأثر الله بعلمه، لأنّ هذا معلومٌ من القرائن.

على أنّ قوله: علم اللّوح، الإضافة جنسية، أي: بعض عِلْمٍ في اللّوح. والجنس يصدق على بعض الأفراد.

ولا شك أنّ شريعته ﷺ لا سيما القرآن المنزل عليه، ومافيه من العلوم، وما آتاه الله من الوحي، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا

(١) قال الشيخ ابن تيمية في «الفتاوىٰ» ١١:٩٦: «وقد ظهر فضل نبينا على الملائكة ليلة المعراج لما صار بمستوىٰ يسمع فيه صريف الأقلام، وعلا على مقامات الملائكة، والله تعالى أظهر من عظيم قدرته وعجيب حكمته من صالحي الآدميين من الأنبياء والأولياء مالم يظهر مثله من الملائكة، حيث جمع فيهم ما تفرق في المخلوقات، فخلق بدنه من الأرض وروحه من الملأ الأعلى، ولهذا يقال: هو العالم الصغير، وهو نسخة العالم الكبير. ومحمد سيد ولد آدم، وأفضل الخلق، وأكرمهم عليه، ومن هنا قال من قال: إن الله خلق من أجله العالم. . . . . .» انتهى.

وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم الآية ٣-٤]، وما أطلعه الله عليه من المغيبات.

كلُّ هذا من علم اللوح، بل ولو لم نقل بهذا؛ لا يلزم هذا الاعتراض، لأنَّ فواتح الغيب الخمس لا يلزم أنها في اللوح المحفوظ، بل هي في أمِّ الكتاب، وهي غير اللَّوح.

قال البغوي رحمه الله تعالى: وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: «وهو كتابان سوى أمِّ الكتاب يمحو الله مايشاء ويُثبت فيهما، وأمُّ الكتاب الذي لا يُغير منه شيءٌ».

وعن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إنَّ لله لوحاً محفوظاً مسيرة خمس مئة عام من دُرةٍ بيضاء، ولها دفَّتان من ياقوت، لله فيه كل يوم ثلاث مئة وستون لحظة، يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أمُّ الكتاب».

فتبين من هذا: أنَّ أمَّ الكتاب غير اللوح، بل هي أصلُ اللوح، وقد يكون الخمس مما لم يكتب في لوح، وفي غامض علمه مما استأثر الله بعلمه، فلم يكتبها في لوح.

وأما قول هذا الرجل: فيلزم أن يقال: قُل: لا يعلم من في السموات والأرض الغيبَ إلاَّ الله ومحمدٌ. فليس هذا الاستدلال في محله، لأنَّ صاحب البردة لم يدَّع ولم يقل: إنَّ النبي ﷺ يعلم جميع ما يعلم الله، إذ هذا مُحال، لأنَّ لله عُلوماً استأثر الله بها واختصّ، لا يشاركه فيها غيره، بل قررنا أنَّ علم اللوح والقلم بعض مواضع علم الله؛ غير ماهو في مكنون غيبه.

وهو أثبت للنبي ﷺ علم اللوح والقلم، ومراده بتعليم الله له، والمنفي عن غيره تعالى في الآية إنما هو الاستقلال والإحاطة بكل شيء، بناءً على أنَّ المراد (بأل) في الغيب، الاستغراق، ولا يلزم من

إثبات بعض علم الغيب للنبي ﷺ بتعليم الله له أن يقال: قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب إلا الله. [النمل: الآية ٦٥] ومحمدٌ ﷺ، بناءاً على ما قررنا من أنَّ المراد بالغيب في الآية؛ الاستقلال أو الإحاطة بكل شيء، فهذا خاصٌ لله تعالى.

أما الغيب الذي لا يكون بهاتين الصفتين، فيجوز أن يكون لغيره تعالى، لأنَّ الله تعالى أثبت ذلك لِرُسُلِهِ، وبعض غيرهم من خُلَّصِ عباده؛ لا استقلالاً، فإنَّ هذا كفر، بل بطريق إطلاعه لهم وتعليمه إياهم ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة الآية ٢٥٥].

وقال تعالى: ﴿فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن الآية ٢٦-٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران الآية ١٧٩].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «فيُطلع رسله على غيبه، وإنَّ محمداً ﷺ أفضلهم».

وقال تعالى في حقِّ الخَضِر عليه السلام: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف الآية ٦٥].

قال البيضاوي رحمه الله تعالى: أي علم الغيب، أي بدليل المسائل التي فعلها الخَضر، من: خَرقه السفينة، وقتله النفس الزَّكية، وإقامة الجدار. وكلُّ هذه الأمور مُغيبات.

وقال ﷺ: «رحم الله موسى؛ لو صبر لرأى العجب»، يعني: من فعل الخَضر عليه السلام للمغيبات التي علَّمها الله له من لدنه، فما

المانع أن يكون من علوم رسول الله ﷺ علم اللوح والقلم، بإطلاع الله له عليه.

وقد ورد في الحديث الصحيح، قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربي في المنام في صورة شابٍ له وفرة، فقال: يا محمد! بم يختصم الملأ الأعلى؟

فقلت: لا أدري، فوضع كفه بين كتفي، فوجدت بردها بين ثديي. فعلمت مافي السموات والأرض. وتلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ الحديث.

رواه الترمذي والدّارمي.

وفي روايةٍ: «فتجلّى لي كل شيء وعرفت»، رواها: أحمد، والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح، وسألت محمد بن إسماعيل - يعني البخاري - عن هذا الحديث، فقال: هذا حديثٌ صحيح. ذكره التبريزي في «مشكاة المصابيح».

قال الطِّيبي رحمه الله تعالى في «حاشية المشكاة»: «والمعنى: أنه كما أَرىٰ إبراهيمَ صلوات الله وسلامه عليه ملكوت السموات والأرض، وكَشف له ذلك، كذلك فُتح عليَّ أبواب الغيوب حتى علمتُ ما فيها من الذّوات والصفات، والظواهر والمغيبات». انتهى.

وقد ورد في أحاديث «الصحيحين» إخبار النبي ﷺ عن المغيبات.

وذكر البغوي رحمه الله تعالى وغيره في تفسير قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ﴾ [آل عمران الآية ١٧٩]. أنَّ سبب نزول هذه الآية: أنَّ ناقةً للنبي ﷺ ضَلّت في بعض أسفاره، فقال بعض المنافقين: إنَّ محمداً يزعُمُ أنه سَيُفْتحُ لأمته من بعده قصور كسرى

وقيصر، وهو لا يدري أين ناقته.

فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «إنها في مكان كذا، بأرض كذا، قد تشكل خِطامُها بشجرة».

فذهبوا، فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم، ثم غضب ﷺ على المنافقين فقال: «ما بال أقوام يطعنون في علمي، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني في مقامي هذا عن شيءٍ؛ إلاّ أخبرتكم به».

فقام رجلٌ كان يدعى إلى غير أبيه فقال: يا رسول الله، من أبي؟ فقال ﷺ: «أبوك حُذافة». وقام رجلٌ فقال: يا رسول الله، أين أبي؟ فقال ﷺ: «في النار».

فجثى عمر رضي الله عنه على ركبتيه فقال: رضينا بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ نبياً. يا رسول الله اعف عنا، فسكن غضبه - أو كما قال -.

فقوله ﷺ: «ما بال أقوام يطعنون في علمي» يعني: في علم الغيب الذي أطلعني الله عليه، لأنّ الكلام فيه، لا في غيره.

ويدلُّ عليه: أنَّ الرجلين إنما سألا عن أمرٍ مُغيب.

وفي الأحاديث الصحيحة؛ كحديث البخاري وغيره من حديث حذيفة رضي الله عنه: إنَّ النبي ﷺ أخبرنا عن كلِّ ما يقع إلى يوم القيامة، حتى أُدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار. حتى إنّا لنرى الطائر يُقلب جناحيه، فنذكر منه علماً.

والأحاديث في هذا كثيرةٌ؛ ذكرها القاضي عياض في «الشفا».

فظهر أن من طعن في علمه ﷺ بالمُغيبات، فهو منافق.

وقال صاحب «الإقناع» في المتن في (باب النكاح) في عدِّ خصائصه ﷺ وكراماته، ما نصه: «وعُرِضَ عليه الخلق كلهم من آدم إلى من بعده، كما عُلّم آدم أسماء كل شيء.

قال شارحه البهوتي رحمه الله تعالى: لحديث الديلمي: **«مُثِّلَت لي الدنيا بالماء والطين، وعلمتُ الأشياء كلها، كما عُلِّمَ آدم الأسماء كلها»**. وعُرض عليه أمته بأسرها حتى رآهم؛ لحديث الطبراني: **«إني عُرِض عليَّ أمتي البارحة لدى هذه الحجرة، أولها وآخرها، صُوروا لي بالماء والطين حتى إني لأعرفُ بالإنسان منهم من أحدكم بصاحبه»**.

وعُرض عليه ماهو كائن في أمته حتى تقوم الساعة؛ لحديث أحمد وغيره: **«رأيت ما تلقى أمتي بعدي، وسفك بعضهم دماء بعض»**. انتهى.

فإذا تحقق هذا؛ تبين أنَّ قول هذا الرجل جهلٌ صِرفٌ، وصَرفٌ للأشياء عن حقائقها بغير عُرْف.

وهذا الذي قررناه، بناءً على أنَّ الله يُطلع أنبياءه وبعض أتباعهم على الغيب، غير الخمس[1].

---

(١) قال الشيخ ابن القيم في «مدارج السالكين» ٢: ٥١٠: «ولقد شاهدت من فراسة الشيخ ابن تيمية رحمه الله أموراً عجيبة، وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم. ووقائع فراسته تستدعي سِفراً ضخماً.

أخبر أصحابه بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وست مئة، وأن جيوش المسلمين تكسر، وأن دمشق لا يكون بها قتل عامٌ وسبي عامٌ، وأن كَلَبَ الجيش وحِدَّته في الأموال. وهذا قبل أن يَهمَّ التتار بالحركة.

ثم أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبع مئة لما تحرك التتار وقصدوا الشام: أن الدائرة والهزيمة عليهم وأن الظفر والنصر للمسلمين، وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يميناً، فيقال له: قل إن شاء الله. فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً. وسمعته يقول ذلك. قال: فلمّا أكثروا عليَّ قلت: لا تكثروا، كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ: أنهم منهزمون هذه الكرة، وأن النصر لجيوش الإسلام». انتهى منه.

فماذا يقول أتباع ابن تيمية فيه، وهو يُقسم بالله أنَّ الله كتب في اللوح المحفوظ النصر أقرأ هو اللوح المحفوظ؟!.

والذي نقله جماعةٌ من أهل العلم: أنه لا مانع أنَّ الله يُعلم ويُطلع نبينا ﷺ وغيره من المقربين؛ حتى على الخمس.

فهاك نُقُول من اطلعنا على نَقلِهِ في حال العجلة:

قال النووي رحمه الله تعالى في «فتاويه»:

مسألةٌ: مامعنى قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾، وقول النبي ﷺ: «لا يعلمُ مافي غدٍ، إلا الله» وأشباه هذا من القرآن والحديث، مع أنه قد وقع علم مافي غدٍ في معجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وكرامات الأولياء رضي الله عنهم؟

الجواب: معناه: لا يعلم ذلك استقلالاً، انتهى. يعني: بتعليم الله لغيره جائزٌ، لأنه لا يكون استقلالاً حينئذ.

وقال الشيخ علي القاري الحنفي رحمه الله تعالى في «شرح المشكاة»:

«فإن قلت: ما التوفيق بين الآية - يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ الآية - وبين ما اشتهر عن العُرفاء من الأخبار الغيبية، كما قال الشيخ الكبير أبو عبدالله في «معتقده»: «ونعتقد أنَّ العبد يُنقلُ في الأحوال حتى يصير إلى نعت الروحانية، فيعلم الغيب، وتُطوى له الأرض، ويمشي على الماء ويغيبُ عن الأبصار»؟

فالجواب: أنَّ للغيب مبادىء ولواحق، فمبادئه لا يطلعُ عليه ملكٌ مُقرب، ولا نبيٌ مرسل، أما اللَّواحق فهو ما أظهر الله عليه بعض أحبائه لوحة علمه، وخرج بذلك عن الغيب المُطلق، وصار غيباً إضافياً. وذلك إذا تنور الرُوح القدسية، وازداد نوريتها وإشراقها، والمواظبة على العلم والعمل، وفيضان الأنوار الإلهية، حتى يقوى النور وينبسط في فضاء قلبه، فتنعكس فيه النقوش المرتسمة في اللوح المحفوظ، ويطَّلع على المغيبات، ويتصرَّف في أجسام العالم السفلي بل يتجلى الفياض الأقدس بمعرفة التي هي أشرف العطايا، فكيف بغيرها». انتهى.

وقال في الشرح المذكور في قوله ﷺ: «مفاتيح الغيب خمسٌ لا يعلمها إلاّ الله» أي: لا يعلم تفصيله إلاّ هو، ولا يُعْلَمُ مُجمله بحسب خرق العادة، إلاّ من قِبل الله تعالى.

وقال رحمه الله تعالى في شرح قوله ﷺ: «في خمسٍ لا يعلمهنّ إلاّ الله»: «فإن قلت: قد أخبر الأنبياء والأولياء بكثيرٍ من ذلك، فكيف الحصر؟

قلت: الحصر باعتبار كلياتها دون جزئياتها. قال تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾». إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى.

قال المناوي رحمه الله تعالى في «شرح الجامع الصغير» ـ الكبير ـ في تفسير قوله ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس»: وأما قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾، فَفُسِّر بأنه لا يعلمها أحدٌ بذاته، ومن ذاته؛ إلاّ هو. وقد تُعلَمُ بإعلام الله تعالى، فإن ثمة من يَعْلَمُها.

وقد وجدنا ذلك لغير واحدٍ، كما رأينا جماعة علموا متى يموتون، وعلموا مافي الأرحام حال حمل المرأة، بل وقبله.

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى في «الشفا»: ومن ذلك ـ أي من خصائصه ﷺ وكراماته الباهرة ـ ما اطلع عليه من المغيبات، مما كان ويكون. والأحاديث في هذا الباب لا يدرك قعرهُ، ولا ينزف غمرهُ، وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر، لكثرة رواتها، واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب. ثمّ ذكر جملةً من الأحاديث الصحيحة.

قال الشهاب الخفاجي في «شرحه»: «وهذا لا ينافي الآيات الدالة على أنه لا يعلم الغيب إلا الله. فإن المنفي علمه من غير واسطة، وأما اطلاعه عليه بإعلام الله له؛ فأمرٌ متحققٌ لقوله تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾». انتهى.

وقال الحافظ الحُجّة ابن أبي جَمرة رحمه الله تعالى في «شرح مختصر البخاري»: في قوله ﷺ: «ما من شيءٍ لم أكن أُريته إلاّ رأيته في مقامي هذا؛ حتى الجنة والنار. فأُوحي إليّ: أنكم تُفتنون في قبوركم».

قال رحمه الله تعالى: الوجه الثالث: قوله عليه الصلاة والسلام: «مامن شيءٍ لم أكن أُريتهُ إلاّ رأيته في مقامي هذا»، فيه دليلٌ على أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يرى من الغيب جميعه في الزمان المتقدم على هذا الموطن؛ إلاّ البعض. وأنه في هذا الموطن؛ تكملت له الرؤية لتلك الأشياء كلها.

ثم قال: وهل المراد جميع الغيوب، أو المراد به ما يحتاج به الإخبار إلى أمته، وما يخصه عليه الصلاة والسلام في ذاته المكرمة؟.

والجواب: إنّ هذا الحديث مُحتملٌ للوجهين معاً، والظاهر منهما الوجه الأخير.

وقال العلامة الأُجْهُوري رحمه الله تعالى في «شرح مختصر البخاري» «قوله ﷺ: «مامن شيءٍ لم أكن أُريته» إلى آخره، يُفيد أنه علم الخَمس التي استأثر الله بعلمها وإن فُسرت الرؤية في الحديث بالعلمية. وانظر هل عِلْمُ نزول الغيث وما بعده مختصٌ بزمنه صلى الله عليه وسلم، أو به و بما بعده إلى يوم القيامة». انتهى.

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ إلخ: «وأما الباقيات ـ يعني غير الساعة ـ فيعلمها ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ مَلكُ الأمطار، ومَلَكُ الأرواح، ومَلكُ الموت.

فإن قلت: جاء في الحديث «في خمسٍ لا يعلمهنّ إلاّ الله»، وفسرها بما في الآية!

قلت: القصر إضافي لا حقيقي، والمراد: نفيُ علم من يدعيه من المُنجمين والأطباء»، انتهى.

وذكر ابن رجب في «شرح الأربعين النووية»: «إنّ المَلَكَ المُوكّل

بالرحم يقول: أي ربِّ، مُخلَّقةٌ أو غير مُخلَّقة؟

وإن كانت مُخلَّقةً، قال: ذكرٌ أم أنثى؟ شقيٌّ أم سعيد؟ ما الأجل ما الأثر؟ وبأي أرضٍ تموت؟

فيقال: اذهب إلى الكتاب، فإنك ستجد فيه قصة هذه النُّطفة». انتهى.

فهذا يدل على أن الله يُطْلِعُ بعض خلقه على شيءٍ من الخمس، وهو المَلَكُ، والنبي ﷺ أولى، لأنه منصوصٌ عليه في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾، وقد قال تعالى في حقّ عيسى عليه السلام: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران الآية ٤٩]، وقال تعالى في حقّ يوسف عليه السلام: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾ [يوسف الآية ٣٧].

وغير ذلك من الآيات والأحاديث، وكان الواجب على من لم يطلع يسأل أهل الذكر، ولا يعترض على أهل العلم، والله أعلم.

وقال العلامة المدابغي رحمه الله تعالى في «حاشيته» على «شرح الأربعين» لابن حجر: «والحق كما قال جمعٌ: إنَّ الله لم يقبض نبينا عليه الصلاة والسلام حتى أطلعه على كلِّ ما أبهمه عنه، إلاّ أنه أمره بكتم بعض، وإعلام ببعض». انتهى.

وقال السبكي رحمه الله تعالى في «معيد النِّعم»: ومن حقهم - يعني الأولياء - الوقوف في إظهار ما يطلعهم الله عليه من المغيبات، ويخصهم به من الكرامات على الإذن، وهم لا يُجيزُون إظهارها بلا فائدة، ولا يظهرونها إلاّ عن إذنٍ لفائدةٍ دينية. كما قال أبو بكر الصديق لعائشة رضي الله عنهما: إنما هو أخواك وأختاك، فاقتسموه على كتاب الله.

قالت عائشة رضي الله عنها: إنما هي أَسماءُ، فمن الأُخرى؟

فقال أبو بكر رضي الله عنه: ذو بطن بنت خارجة، أُراها جارية.

فقد أخبر أنَّ مافي بطن زوجته أنثى، وهي من جملة مافي الأرحام التي لم يطلع عليه إلاّ الله، ولكن الله أطلعه عليه إذ ذاك، فَعِلمهُ من علم الله تعالى.

وذكر ابن تيمية في «الفرقان» معنى قول سيدنا عمر رضي الله عنه: «اقتربوا من أفواه المطيعين، فإنهم تنجلي لهم أمورٌ صادقة» - يعني: عِلمَ المُكاشفة -.

وقال في مكان آخر من «الفرقان»: «وذلك أنَّ الخوارق منها ماهو من جنس العلم، كالمكاشفات، ومنها ماهو من جنس القدرة والمُلك، كالتصرفات الخارقة للعادة، وجميع ما يعطيه الله لعبده من هذه الأمور وغيرها؛ إن استعان بها على ما يُحبه الله ويرضاه، ويقربه إليه، ويأمر الله به ورسوله، ازداد بذلك رفعةً وقُرباً إلى الله تعالى، وعلت درجته.

وإن استعان به على ما نهى الله ورسوله كالشرك والظلم والفواحش، استحق بذلك الذَّم والعقاب، فإن لم يتداركه الله بتوبة حسنة، أو حسناتٍ ماحية، وإلاّ كان كأمثاله من المذنبين». انتهى.

وذكر ابن القيم في كتابه «الروح» أحاديث صحيحة وآثاراً على عِلمِ أهل القبور بأحوال أهل الدنيا من الأمور التي لا يعلمها إلاّ الله، من أمورٍ واقعة، وأمورٍ ستقع.

وقد وقع من هذا كثير من الصحابة، ومن بعدهم، وتكلم ابن القيم على تأييد هذه المسألة[1].

أقول: وقد أخذ جمعٌ من العلماء أنَّ قول النبي ﷺ لجبريل عليه السلام في علم الساعة: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» يعني: أنا وأنت في العلم سواء، لأنه نفى أفضل التفضيل الدّال على الزيادة

---

(١) ينظر «مدارج السالكين» ٢: ٥٠٥، وما بعدها.

فمعناه: ما أنا أعلم منك، بل كما تعلمها أنت؛ أنا أعلمها.

وقد ثبت في «البخاري» وغيره، أنه ﷺ أشار إلى مصارع صناديد قريش كل منهم صُرِع في ذلك المكان ما تعداه. فقد عَلِمَ أنَّ هذه الأنفس بأي [أرض] تموت، وهي من الخمس.

وأخبر ﷺ عن أشياء تقع بعده إلى يوم القيامة، فوقعت كما أخبر، وهذا مما لا تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً.

وأخبر ﷺ بعد موته بنزول الغيث، كما في الحديث الذي ذكره الشيخ ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» حين شكى الصحابي، فأتى إلى قبر رسول الله ﷺ، فقال: «ائت عمر وأخبره أنهم مسقون». فكان كما أخبر.

ورفعُ هذا الإشكال والتوفيق بين الآيات والأحاديث الصحيحة بهذا التقرير متعين، وإلاّ يلزم منه التناقض والخُلفُ في الأخبار الصادقة، وبالله التوفيق.

وأما اعتراض هذا المعترض على قوله:

يا أكرم الخلق مالي من ألُوذُ به   سِواكَ عند حلول الحادث العَمَم

فهو سوءُ فهم وعدمُ علم، وذلك أنه يقرأ البيت:

مالي من ألوذ به   سواك.......

فإذا سمع العامي الذي معه في الفهم سواء، قال: كيف هذا الحصر؟ فيفهم منه أنه قاله قائله على الإطلاق.

وليس ذلك مراداً، ولا هو معنىً البيت. بل معناه ظاهرٌ لمن عرف، فإنَّ معنىً البيت على ما يعطيه اللفظ، مع قطع النظر عن مراد الناظم، وقرائن الأحوال والأقوال أنه يقول: يا أكرم الخلق على ربه؛ مالي من ألوذ به غيرك وقت حلول الحادث العام الذي يَعُمُّ الخلائق كلها، وهو يوم القيامة في الموقف.

كما ورد في الأحاديث الصحيحة أنَّ الناس ذلك اليوم تدنو الشمس

منهم مقدار ميل، ويزدحمون حتى يصير على كل قدم سبعون ألف قدم، ويلجمهم العَرَقُ، وَتُسعَّرُ جهنم، ويغضب الجبار جلّ جلاله وكلُّ الأنبياء والرسل يقول كلُّ واحدٍ: نفسي... نفسي...، ثم يَطلبُ الناس من يشفع لهم كما في «البخاري» فيستغيثون بآدم، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى. فيأتون نبينا ﷺ فيقول: «أنا لها... أنا لها» فيشفع لجميع الخلائق من ذلك الموقف المهول الشديد الذي يشتهي الناس أن يخلصوا من شدَّته؛ ولو يؤمر بهم إلى النار كما في صحيح الأخبار.

فهل ترى أنَّ أحداً من الرسل يُلاذُ به، أو واحداً من المخلوقات يُلاذ به إلاّ هو صلى الله عليه وسلم في هذا الحادث العام، لا في سائر الأحوال؛ بل في هذه الحال؟!.

وهو عند حلول الحادث العَمَم، «اسم فاعل» كـ: حذر وحَفل، وليس مراده: مالي من ألوذ به سواكَ مطلقاً، بل مقيدٌ بهذا الوقت الذي وردت الأحاديث الصحيحة أنه ما يكون غيره له، بل أولوا العزم يعتذرون الناس ذلك اليوم.

ومقصوده: اللوذ به، من طرف الشفاعة، بدليل قوله في البيت الذي بعده:

ولن يضيق رسول الله جاهك بي   إذا الكريم تجلى باسم منتقم

إذ الجاه راجعٌ للشفاعة، وهكذا قرر جميع من شرح هذه القصيدة من العلماء الأكابر.

قال الشيخ خالد الأزهري في «شرحه» على هذه القصيدة: «ألوذ: ألتجيء، سواك: غيرك، وحلول الحادث العمم: هول يوم القيامة الشامل لجميع الخلق.

والمعنى: يا أكرم كُلِّ مخلوقٍ، مالي أحدٌ غيرك - يعني من المخلوقين - ألتجيء إليه يوم القيامة من هوله العميم والناس يتطاولون إلى جاهك الرفيع، ولن يضيق بي جاهك إذا اشتد الأمر وعيل الصبر،

فإنك أعظم الخلق على الله، المعول في الشفاعة عليه»، انتهى.

وكذلك قال غيره من الشُّراح.

بقي أن يقولوا: قوله: يا أكرم الخلق. . . ، فإنَّ هذا عندهم دعاءٌ، وهو النداء، ولا وجه للتكفير به، لأنَّ النداء إذا كان ضاراً وهو عبادة كما يزعمون، للزم أنه لا يُنادىٰ أحدٌ حيٌّ ولا ميت، لأنَّ كون الشيء الواحد بالنسبة للحيّ يكون طاعة، وللميت والغائب يكون عادة، لم يُعهد هذا شرعاً وعُرفاً. إنما الدعاء الذي هو عبادة، فهو اتخاذ غير الله رباً وإلهاً، وهذا لا يقصده أجهل المسلمين، فضلاً عن أكابر العلماء العاملين.

والدليل على أنَّ النداء والطلب من الأموات والغائبين ليس بعبادة، بل هو مأمورٌ به شرعاً: آياتٌ وأحاديث وآثار، وأقوال العلماء الكبار من الأئمة الأربعة الأخيار كما ستحيط به علماً، ولكن لا تعجل، بل تصبَّرْ وتبصَّرْ، واستوعب الأدلة التي تقرأ وتُقرر، وأنصف ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله.

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة الآية ٣٥]، قال البغوي في تفسير قوله تعالى في الآية الأخرى ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء الآية ٥٧]: «عن ابن عباس رضي الله عنهما: الوسيلةُ كلُّ ما يُتقرَّبُ به إلى الله، أي ينظرون أيهم أقرب إلى الله؛ فيتوسلون به»، انتهى.

فالوسيلة عامة شاملةٌ للذوات والأفعال والأقوال، وتخصيصها بالأفعال تحكمٌ لا دليل عليه، مع أنَّ الذوات الفاضلة، أفضل من الأفعال الصادرة عنها، لا سيما نبينا ﷺ فإنه خُلق من نور الله تعالى كما في حديث جابر رضي الله عنه.

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ

عَهۡدٗا﴾ [مريم الآية ٨٧]، قال المفسرون: العهد قول: لا إله إلاّ الله محمدٌ رسول الله.

قيل معناه: لا يشفع الشافعون إلاّ لمن اتخذ عند ـ أي: مع ـ الرحمن عهداً، يعني المؤمنين أهل لا إله إلاّ الله.

وقيل: مَلّك الله المؤمنين الشفاعة، فلا يشفع إلاّ من شهد أن لا إله إلاّ الله. أي لا يشفع إلاّ مؤمن.

وعلى كلِّ حال؛ فقد أخبر الله تعالى أنه مَلّكَ المؤمنين الشفاعة، فطلبُها ممن يملكها بتملك الله لا مانع منه، كمن طلب المال وغيره ممن ملّكه الله له.

ومراد المُنادي له ﷺ، والمتوسل به؛ إنما هو الشفاعة وشفاعته ﷺ الدعاء، وهو حاصلٌ له ولسائر الموتى من المؤمنين، كما ورد في الأحاديث الصحيحة.

قال ابن رجب: وقد صحَّ عرض الأعمال كلها على رسول الله ﷺ لأنه لهم بمنزلة الوالد، خرجه البزار في «مسنده». قال: قال رسول الله ﷺ: «حياتي خيرٌ لكم تُحْدثون ويُحدث لكم، ووفاتي خيرٌ لكم، تُعرض أعمالكم عليَّ، فما رأيت من خير حمدتُ الله عليه، وما رأيت من شرٍ استغفرت الله لكم».

والدعاء من الحي والميت شفاعة كما ورد في صلاة الجنازة أنَّ الداعي يقول: «وقد جئناك راغبين إليك شُفَعَاءَ له بين يديك». واستغفارهم شفاعة ودعاء، كما هو ظاهر.

وأما الأحاديث الصحيحة في طلب الصحابة الكرام منه ﷺ ولم ينكرها عليهم؛ فكثيرةٌ شهيرةٌ ولم يقل لهم: حتى يأذن الله لي، وأنتم طلبتم مني قبل الإذن؛ فقد أشركتم.

فدلّ على أنَّ ذلك جائزٌ مطلقاً في حال حياته وموته ﷺ، لأنه ﷺ بعد موته حيٌّ في قبره بالاتفاق.

الدليل الثالث: الحديث الأول: أخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قلت: اشفع لي يا رسول الله يوم القيامة.

قال ﷺ: «أنا فاعل».

قلت: فأين أطلبك؟، قال ﷺ: «أول ما تطلبني على الصراط»، قلت: فإن لم ألقك هناك؟ قال ﷺ: «فاطلبني عند الميزان»، قلت: فإن لم ألقك هناك؟، قال ﷺ: «فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطىء هذه المواطن الثلاثة».

فإن قال قائل: إنَّ هذا الطلب للشفاعة في حال حياته، وهو جائز.

قلنا: لا، طلب منه ماليس في حياته، وهو الشفاعة يوم القيامة؛ وماجاز أن يطلب منه في الحياة، جاز أن يطلب منه بعد الممات، ومن منع فعليه الدليل أنَّ النبي ﷺ نهىٰ عن ذلك في حديث.

بل على قولكم: إنَّ الطلب نفسه عبادة؛ يقتضي أن لا فرق بين الحياة والممات، لأنَّ العبادة ممنوعةٌ في الحالين!...

وما تقولون في قوله ﷺ لمّا قال الصديق رضي الله عنه: قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق، فقال ﷺ: «إنه لا يستغاث بي، إنما يستغاثُ بالله»، وهو حيٌّ قادرٌ على قولكم، قد أخبر الله عن موسى عليه السلام: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾؟!...

الحديث الثاني وهو الدليل الرابع: قال الإمام أحمد في «مسنده» عن أنس رضي الله عنه قال: «ما شَمِمْتُ عبيراً قطُّ ولا مِسكاً قطُّ، ولا شيئاً قطُّ أطيب من ريح رسول الله ﷺ».

قال ثابتٌ رضي الله عنه فقلت: يا أبا حمزة! ألست كأنك تنظر إلى رسول الله ﷺ، وكأنك تسمع إلى نغمته؟

فقال رضي الله عنه: بلى والله، إني أرجو أن ألقاه يوم القيامة فأقول: يا رسول الله، خُويدمُك أنس. . الحديث.

وفي «الجامع الصغير»: كان مما يقول للخادم: «ألك حاجة؟»، حتى كان ذات يوم قال: يا رسول الله، حاجتي. قال ﷺ: «وما حاجتك؟»، قال: حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة.

قال ﷺ: «ومن دلك على هذا؟»، قال رضي الله عنه: ربي عزوجل.

قال ﷺ: «إمَّا لا بدَّ، فأعنّي بكثرة السجود». رواه الإمام أحمد.

قال الترمذي: رجاله رجال الصحيح، ورمز السيوطي لحُسنه. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، ذكره المناوي في شرحه «الكبير».

الدليل الخامس: رَوىٰ الترمذي، والنسائي، والبيهقي وصححه والحاكم وقال: على شرط البخاري ومسلم وأقره الحافظ الذهبي. عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه: أنَّ رجلاً ضريراً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ادعُ الله لي أن يكشف لي عن بصري.

قال ﷺ: «إن شئت دعوتُ لك، وإن شئت صبرت».

قال: ادعه، فقال ﷺ: «ائت الميضأة فتوضأ وصلِّ ركعتين وادع بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد، يا محمد، إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى، اللهم شفعه فيَّ. وإن كان لك حاجةٌ؛ فمثل ذلك».

فذهب الأعمى وعمل ذلك لنفسه بغيبة النبي ﷺ.

قال البيهقي رحمه الله تعالى عن الراوي: فقام الأعمى وقد أبصر.

أقول: ولا يخفى أنَّ هذا الحديث من دلائل نبوته ﷺ ومعجزاته، حيث إنَّ الأعمى أبصر ببركته ﷺ كما كان عيسى ابن مريم يُبرىء

الأكمه والأبرص، ويحيي الموتىٰ بإذن الله.

وهذا الحديث ذكره ابن تيمية في «الفتاوىٰ» وأقرّه ولم يتعرض له، وترجم له المُحَدِّثُون: «باب من له إلى الله حاجة، أو إلى أحدٍ من خلقه».

وذكره الحافظ الجزري في «الحصن الحصين»، والحافظ السيوطي في «الجامع الصغير». وشرحه للمناوي، والشيخ علي القاري الحنفي فقال: قوله: «يا محمد» التفاتٌ وتضرعٌ لديه، ليتوجه بروحه إلى الله تعالى، ويغني السائل عمّا سواه، وعن التوسل إلى غير مولاه قائلاً: «إني أتوجه بك» - أي بذريعتك، الذريعة الوسيلة، والباء للاستعانة - «إلى ربي في حاجتي هذه»، وهي المقصودة المعهودة «لتقضى لي». ويمكن أن يكون التقدير: ليقضي الله الحاجة لأجلك، بل هذا هو الظاهر.

وفي نسخة: «لتقضي» بصيغة الفاعل، أي: لتقضي أنت يارسول الله الحاجة لي. والمعنى: لتكون سبباً لحصول حاجتي ووصول مرادي؛ فالإسناد مجازي، انتهى.

قال المُجَوِّزُونَ: فقوله في الحديث: «يا محمد، إني أتوجه بك في حاجتي لتقضى..»: نداءٌ وطلبٌ منه ﷺ، واستغاثة به وتوسل، والنبي ﷺ كان غائباً وقال له: «وإذا كان لك حاجة؛ فمثل ذلك»، وحاشا لرسول الله ﷺ أن يُعلِّمَ أمته الشرك وقد بُعِثَ لهدمه.

فدلَّ أنَّ النداء له والطلب منه ليس بشرك؛ كما يعنيه الخوارج.

وأجاب تقي الدين ابن تيمية عن هذا الحديث؛ بأنَّ الأعمىٰ صوَّر صورة النبي ﷺ وخاطبها كما خاطب الإنسان من يتصوره ممن يحبه أو يبغضه؛ وإن لم يكن حاضراً، انتهى.

وهو عجيب! فإنَّ نداء الصورة والطلب منها مع كونها وهمية خيالية، أقوى في الحُجَّة على المانع. فهذا الحديث الصحيح هو الدليل لمن يُجَوِّزُ نداء النبي ﷺ في غيبته وبعد موته، والناظم ممن يرى ذلك.

والدليل على أنَّ هذا الحديث عامٌ: ما رواه البيهقي، والطبراني بسندٍ لا بأس به عن عثمان بن حنيف راوي الحديث الأول: أنَّ رجلاً كان يختلفُ إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجته، فكان لا يلتفتُ إليه ولا ينظر في حاجته. فشكى لابن حنيف الصحابي رضي الله عنه، فعلّمهُ أن يفعل كما فعل الأعمى، ففعل فقضيت حاجته.

وسيأتي في كلام ابن تيمية أنَّ للناس في الحديث قولين: قولاً بجواز التوسل به، بمعنى طلب دعائه في حياته. وقولاً بجواز ذلك في حياته ومماته، وحضوره ومغيبه.

وعلى كلا القولين لا مانع في حياته من طلب صاحب «البردة» الشفاعة منه ﷺ لأنه على الأول يكون طالباً لدعائه، وهو حيٌّ في قبره، وعلى الثاني فظاهر.

وقد وافق ابنُ تيمية ابنُ عبدالسلام سلطان العلماء على جواز الطلب والتوسل به ﷺ لحديث الأعمى، فصار نداؤه ﷺ والسؤال منه محل اتفاق. وسيأتي أقوال السلف والخلف، وتواطئهم على جوازه.

الدليل السادس: رَوىٰ الحاكم في «صحيحه»، وأبو عَوانة في «صحيحه»، والبزار بسندٍ صحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة، فليناد: يا عباد الله احبسوا، فإنَّ لله حاضراً سيُجيبه».

وقد ذكر هذا الحديث تقي الدين ابن تيمية في «الكلم الطيب» عن أبي عوانة، وابن القيم في «الكلم الطيب»له، والنووي في «الأذكار»، والحافظ الجزري في «الحصن الحصين» وغيرهم مما لا يحصى من

المحدثين، وهذا اللفظ رواية ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً.

وأما قول هذا النجدي: إنَّ هذا نداءٌ لحاضر. كذبٌ ظاهر، فإنَّ عباد الله المدعوين وإن كانوا حاضرين بالنسبة لعلم الله الذي لا يغيب عنه شيء، فهم غائبون بالنسبة لمن يناديهم. وكذلك الأنبياء والصالحون وأهل القبور، فإنهم أحياءٌ في قبورهم وأرواحهم موجودة.

ولهذا أمر النبي ﷺ أمته أن ينادوهم ويخاطبوهم مخاطبة الحاضرين مع أنهم غائبون عن العين، بل ربما يُسمع منهم ردُّ السلام وقراءة القرآن والأذان من داخل قبورهم، كما ذكر ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم».

فليس نداءُ النبي ﷺ وخطابه أقلَّ من عباد الله الذين أمر نبينا ﷺ أن نناديهم ونستعين بهم في ردِّ الدّابة، ولكن مقصوده ﷺ التسبب، فإنَّ الله ربط الأمور بالأسباب. والنبي ﷺ أفضلُ الوسائل والأسباب، خصوصاً يوم القيامة.

ولكون النبي ﷺ حاضراً مع موته، شُرِعَ لنا خطابه والتسليم عليه في الصلاة، وهو قولنا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. ولولا ذلك لكان هذا الخطاب والسلام عبثاً، وحاشا هذه الشريعة الغراء العبث فيها.

فهو على قولين: إما أنه يسمع سلام المُسَلِّمينَ عليه ويعرفهم حيث ما كانوا، أو أنه موكلٌ بقبره ﷺ مَلَكٌ يُبلغهُ عن أمته السلام.

الدليل السابع: روى الطبراني عن عتبة بن غزوان، عن النبي ﷺ: «إذا أضل أحدكم شيئاً وهو بأرض فلاة ليس بها أنيس، فليقل: يا عباد الله أعينوني، فإنَّ لله عباداً لا يراهم».

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً.

قال النووي رحمه الله تعالى: قد جُرب، فصحَّ.

وذكر ابن مفلح عن عبدالله ابن الإمام أحمد، أنه ضلَّ في طريق الحج فنادى: «يا عباد الله، دُلونا على الطريق». فوقع على الطريق.

فَهب أنَّ عباد الله المدعوين حاضرون – كما قال – ولكن لما لم يرهم الداعي لهم، كيف يهتدي الداعي إلى الطريق، أو يحصل له مقصوده في مثل الهداية إلى الطريق وهم لم يرهم. وكيف حصلت له الهداية بمجرد هذا الكلام؛ لولا أنهم وسيلةٌ، والله الفعَّال؟!.

فكذلك خطاب النبي ﷺ؛ أقل مراتبه أن يكون كالجن أو رجال الغيب، مع أنه ﷺ أفضلهم وأقربهم إلى الله وسيلة عند ربه تعالى.

الدليل الثامن: رَوىٰ البيهقي، وابن أبي شيبة عن مالك الدار رضي الله عنه وكان خازن عمر رضي الله عنه قال: أصاب المدينة قحطٌ في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فجاء رجلٌ إلى قبر النبي ﷺ فشكى له فقال: يا رسول الله استسق لأمتك، فإنهم قد هلكوا.

فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: «ائت عمر وأقرئه السلام، وأخبره أنهم مسقون. . .» الحديث.

وقد ذكر هذا الحديث تقي الدين ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» ونقله النجدي في رسالته عنه، وأقره ولم ينكره.

قال: وما رويَ أنَّ رجلاً جاء إلى قبر النبي ﷺ فشكى إليه الجدب عام الرمادة فأمره ﷺ أن يأتي عمر رضي الله عنه. . . الحديث.

قال: فهذا حقٌ، ومثل هذا وقع كثيراً لمن هو دون النبي ﷺ. ولكن عليك أن تعلم؛ هؤلاء السائلين المحلين لو لم يجابوا، لاضطرب إيمانهم، كما أنَّ السائلين له في الحياة كانوا كذلك، انتهى.

ولا يخفى أنَّ هذه المسألة والسؤال والشكوى للنبي ﷺ وقعا في زمن الصحابة وخير القرون، فلو كان ذلك ممنوعاً لم يفعله الصحابي الذي هو أَعلمُ بالدِّين من سائر علماء المسلمين، ولم ينكر مع وجود الصحابة الكرام؛ فعُلمَ أنَّ هذا أمرٌ معلومٌ عندهم جوازه واستحبابه، وإلا لَنُقِلَ عن واحدٍ إنكاره.

الدليل التاسع: ذكر ابن عساكر في «تاريخه»، وابن الجوزي في «مثير الغرام الساكن»، والإمام هبة الله في «توثيق عُرى الإيمان» عن العُتبي التابعي الجليل:

أنَّ أعرابياً جاء إلى قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله. . .، وفي رواية ذكرها الطبري أنه قال: ويا خير الرسل سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ وقد جئتك مستغفراً من ذنبي، مستشفعاً بك إلى ربي.

ثم أنشد:

ياخير من دُفنت في القاع أعظمه . . . . .إلخ

قال العُتبي: فحملتني عيناي، فرأيت النبي ﷺ في النوم وقال: «يا عُتبي، الحق الأعرابي فبشرهُ بأن الله غفر له».

فتلقى هذا الأثر علماء الأمّة كلهم بالقبول، وذكره أئمة المذاهب الأربع في المناسك مُستَحسِنينَ له. وفيه نداءُ النبي ﷺ وطلب الشفاعة منه في الدنيا.

وسيأتي نقل نصوص العلماء سيما من الحنابلة لهذا الأثر.

قال ابن تيمية عند ذكره هذا الأثر: ولقد استحب طائفةٌ من أصحاب الشافعي، وأحمد مثل ذلك. واحتجوا بهذه الحكاية التي لا يثبت بها

حكمٌ شرعي، بل قضاء حاجة الأعرابي وأمثالها لها أسبابٌ بسطت في غير هذا الموضع.

وليس كلُّ من قضيت له حاجته بسببٍ؛ يقتضي أن يكون مشروعاً، وقد يفعل الرجل العمل الذي يعتقده صالحاً ولا يكون عالماً أنه منهيٌّ عنه؛ فيثاب على حُسْنِ قصده، فيعفى عنه لعدم علمه. ثم الفاعل قد يكون متاولاً أو مخطئاً أو مجتهداً أو مقلداً، فيغفر له خطاه، ويثاب على مافعله من الخير المشروع المقرون بغير المشروع، كالمجتهد المخطىء. وقد بُسِطَ هذا في غير هذا الموضع» ذكر ذلك في «اقتضاء الصراط المستقيم»، وفي بعض الفتاوى، وذكره ابن عبدالهادي تلميذه عنه في «الصارم المنكي في الردِّ على السبكي».

فلو فرضنا أنَّ صاحب «البردة» لم يتبع هذه الأحاديث الصحيحة والآثار الصريحة في طلبه منه ﷺ في الدنيا والآخرة، وقلنا بقول الشيخ ابن تيمية أنه منهيٌّ عنه، أو ليس مستحباً كما قال في «اقتضاء الصراط» أليس ابن تيمية أعذر المُتاول والمُخطىء والمجتهد والمُقلد، وقال: إنه يغفر له ويُثاب على فعله.

فلنجعل هذا الرجل من هذا القبيل، فكيف يحلُّ لمن يؤمن بالله واليوم الآخر يُكفر رجلاً أَقدمُ من ابن تيمية، بل تلاميذه من شيوخه ومعاصريه كأبي حيان النحوي، والعز بن جماعة وغيرهما.

فقبح الله الجهل أين يصل بصاحبه.

الدليل العاشر: ذكر القسطلاني في «المواهب اللدنية»، والسمهودي في «الوفا» قال: روى أبو سعد السمعاني عن عليٍّ كرم الله وجهه أنَّ أعرابياً قدم علينا بعدما دفن رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبره، وحثا من ترابه على رأسه وقال:

يارسول الله، قُلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله فوعينا عنك.

وكان فيما أُنزل إليك: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾، وقد ظلمتُ نفسي وجئتك تستغفر لي.

فنُودي من القبر: «غُفر لك».

أقول: ويعضد هذا الأثر، الأثر المتقدم الذي تلقاه الأئمة بالقبول حتى الشيخ ابن تيمية مع أنه تَشدَّدَ في ذلك كما ترى.

الدليل الحادي العاشر: ذكر القاضي عياض في «الشفا» بسنده الحسن أنَّ الإمام مالك بن أنس تناظر مع أبي جعفر المنصور، فقال الإمام مالك: يا أمير المؤمنين، إنَّ الله أدّب أقواماً فقال: ﴿ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ . . ﴾، ومدح قوماً فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ . . . ﴾.

وإنَّ حُرمته ميتاً كحُرمتِهِ حياً.

فاستكان لها أبو جعفر فقال: يا أبا عبدالله، أستقبل القبلة فأدعو، أم استقبل رسول الله ﷺ.

فقال مالك رحمه الله تعالى: ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم؟! بل استقبله وتشفع به فيشفعك الله، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ الآية.

ونقل هذا الأثر السبكي في «شفاء السقام»، والقسطلاني في «المواهب اللدنية»، والسمهودي في «الوفا» و«خلاصة الوفا»، وابن حجر في «الجوهر المنظم» وغيرهم.

الدليل الثاني عشر: ذكر ابن الجوزي في كتابه «الوفا في فضائل

المصطفى ﷺ» بسنده إلى أبي بكر المقرىء، والطبراني، وأبي الشيخ قالوا:

كُنّا في حرم رسول الله ﷺ وكُنّا في حالة قد أثر فينا الجوع، فواصلنا ذلك اليوم.

فلما كان وقت العشاء؛ حضرتُ قبر النبي ﷺ وقلت: يا رسول الله، الجوع الجوع، وانصرفت.

قال أبو بكر: فنِمتُ وأبو الشيخ، والطبراني جالسٌ ينظر في شيءٍ، فحضر بالباب علويٌّ فدقَّ الباب، ففتحنا له، فإذا معه غُلامان مع كلِّ غلام زنبيلٌ فيه شيءٌ كثير، فجلسنا فأكلنا، فولى وترك الباقي عندنا.

فلما فرغنا من الطعام، قال العلوي: ياقوم، شكوتم إلى رسول الله ﷺ؟ فإني رأيته في المنام فأمرني بحمل شيءٍ إليكم، انتهى.

وذكر هذا الأثر جماعةٌ من المحدثين، وذكر مثله تقي الدِّين في «اقتضاء الصراط المستقيم».

قال: وكذلك ما حُكيَ أن بعض المجاورين في المدينة أتى إلى قبر النبي ﷺ فاشتهى نوعاً من الأطعمة، فجاء بعض الهاشميين إليه فقال: إنَّ النبي ﷺ بعث إليك ذلك النوع من الأطعمة، ويقول لك رسول الله ﷺ: اخرج من عنده، لا تشتهي مثل ذلك.

وآخرون قضيت لهم حوائجهم ولم يقل لهم مثل هذا؛ لاجتهادهم أو تقليدهم أو قصورهم في العلم، فإنه يغفر للجاهل مالا يغفر لغيره، انتهى.

الدليل الثالث عشر: ذكر ابن الجوزي في كتابه «صفة الصفوة» بسنده إلى أبي الخير التيناتي قال: دخلت مدينة رسول الله ﷺ وأنا بفاقةٍ فأقمت خمسة أيام ماذقتُ ذواقاً، فتقدمت إلى القبر الشريف وسلمتُ

على النبي ﷺ وأبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما وقلتُ: أنا ضيفك الليلة يارسول الله. وتنحيتُ فنمتُ خلف المنبر، فرأيت في المنام النبي ﷺ وأبا بكر عن يمينه، وعمر عن شماله، وعليُّ بن أبي طالب بين يديه. فحركني عليٌّ رضي الله عنه وقال: قُمْ، لقد جاء رسول الله ﷺ.

فقمتُ فقبلْتُ بين عينيه، فدفع إليّ رغيفاً فأكلت بعضه، فانتبهت فإذا النصف الآخر بيدي»(1)، انتهى.

الدليل الرابع عشر: ذكر ابن تيمية في «الكلم الطيب» والحافظ ابن أبي جمرة في «شرح مختصر البخاري» عن ابن عمر، وابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ أحدهما خدرت رجله، فقيل له: أذكر أحبَّ الناس إليك.

فقال: يا محمد، فذهب الخَدَرُ عن رجله(2).

فهذا يدلُّ على أنَّ نداء أحب الناس إلى الإنسان؛ ولو لم يكن نداءُ الرسول ﷺ، جائزٌ، وأنه مُذْهِبٌ لهذه العِلة، فكيف إذا كان رسول الله ﷺ؟!!.

فلو كان نداءُ الغائب والميت ممنوعاً، لكان هذان الصحابيان الجليلان أحقَّ بالمنع من ذلك! ولهذا ذكر هذا الأثر ابن تيمية وابن القيم وغيرهما في الأذكار التي يُسنُّ استعمالها.

وذكر ابن الأثير في «تاريخه» الذي ذكر أنه اختصره من تاريخ ابن جرير السُّني: أنَّ الصحابة الكرام رضي الله عنهم كان شعارهم في

---

(1) لمزيد الوقوف على جملة من هذه الأخبار، ينظر «مصباح الظلام» لابن النعمان المراكشي رحمه الله تعالى.

(2) ينظر تخريج هذا الحديث في: «عمل اليوم والليلة» لابن السُّني ص ١٤١.

الحرب: «يا محمد». وذكر مثله الواقدي في كتابه «فتوح الشام».

وذكر السيوطي في «شرح الصدور» عن ابن الجوزي بسنده إلى بعض التابعين: أنهم لما أمرهم الكفار وراودوهم على الكفر وامتنعوا، غلوا لهم زيتاً في قدر فألقوهم فيه، فنادوا: «يا محمداه».

ولا شك أنَّ هذا النداء في هذه المواضع المهلكة، ماهو إلاَّ توسّلٌ به ﷺ، وطلبٌ لشفاعته ﷺ، وإلاَّ فلا معنى لندائه.

وفي ترجمة سعيد بن عامر بن حِذْيم الصحابي رضي الله عنه قال: شَهِدتُ مصرع خُبيب وقد بَضّعت قريش لحمه، ثم حملوه على جِذْعة، ثم نادى: «يا محمد». فما ذكرت ذلك وتركي نصرته وأنا مُشرك؛ إلاّ ظننتُ أنَّ الله لا يغفر لي بذلك الذنب أبداً، فتصيبني تلك الغَنْظة.. إلى آخر الأثر.

فهذا يدلُّ على أنَّ نداءَ النبي ﷺ في الشدائد أمرٌ معهودٌ، لأنَّ خُبيباً رضي الله عنه فعل ذلك في مكة والنبي ﷺ في المدينة حينئذ، والله أعلم.

وأما الألفاظ التي صدرت في زمانه ﷺ مما فيها حصر الشفاعة به وأمثاله ذلك مما هو مثل قول البوصيري:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حُلولِ الحادث العَمَمِ

فكثيرةٌ جداً؛ منها ما ذكر القسطلاني في «المواهب اللدنية» في (باب الاستسقاء) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء أعرابيٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أتيناك ومالنا صبيٌّ يَغط، وبعيرٌ يئط، وأنشد:

أتيناك والعذراء يدمى لبانها ... وقد شُغلت أمُّ الصبي عن الطفلِ

وليس لنا إلاّ إليك فِرَارُنا ... وأين فِرارُ الناس إلاّ إلى الرسلِ

فقام رسول الله ﷺ يَجُرُّ رداءه ورفع يديه إلى السماء ثم قال: «اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريعاً غدقاً طبقاً نافعاً غير ضار عاجلاً».

قال رضي الله عنه: فما ردَّ ﷺ يديه إلى نحره؛ حتى ألقت السماء بأبراقها، وجاء أهل البطانة يضجون: الغرق الغرق.

فقال رسول الله ﷺ: «حوالينا ولا علينا»، فانجاب السحابُ عن المدينة حتى أحدق بها كالإكليل، وضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: «لله درُّ أبي طالب، لو كان لقرّت عيناه، من يُنشدنا قوله؟».

فقال عليٌّ رضي الله عنه: يا رسول الله، كأنك تعني قوله:

وأبيضَ يستسقي الغمام بوجهه ثِمالُ اليتامى عصمةٌ للأراملِ

يُطيفُ به الهُلاَّك من آل هاشم فهم عنده في نعمةٍ وفواضلِ

فقال ﷺ: «أجل»، رواه البيهقي.

قال القسطلاني رحمه الله تعالى: والثِمالُ - بكسر الثاء -: الملجأُ والغياث في الشدّة. وعصمة للأرامل: يمنعهم عن الضياع والحاجة، والأرامل: المساكين.

وروى ابن عبدالبر في «الاستيعاب» في ترجمة سواد بن قارب الصحابي رضي الله عنه وقوله في رسول الله ﷺ:

وكُنْ لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعةٍ بِمغنٍ فتيلاً عن سواد بن قَارِبِ

ونقل ذلك جميع أهل السير في معجزاته ﷺ، لأن الجنَّ أمروا سواداً بالإسلام به ﷺ، فأتاه وأسلم وأنشد النبي ﷺ أبياتاً، هذا البيت منها: ومنها:

وأشهد أنَّ الله لا ربَّ غيره وأنك مأمون على كلِّ غائبِ

وأنك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله ياابن الأكرمين الأطايب

فلم ينكر النبي ﷺ طلب الشفاعة منه في القيامة، وجعله وسيلةً، وأنه مأمونٌ على كلِّ غائب.

وعن ابن عساكر من طريق أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه؛ أنَّ امرأةً من قريش عارضت سعد بن عبادة، فأنشدت النبي ﷺ:

يا نبي الهدى إليك لجائي لقريش ولاتَ حين لَجَاءِ

حين ضاقت عليهم سعة الأرض وعاداهم إلهُ السماء

إن سعداً يريد قاصمة الظهر بأهل الحَجُون والبطحاء

فلما سمع هذا الشعر ﷺ؛ دخلته رأفةٌ لهم ورحمة، فأمر بالراية فأُخذت من سعد ودُفعت إلى ابنه قيس.

وذكر القسطلاني في: «المواهب» أنَّ عمته صفية رضي الله عنها رثته بمراثي، منها قولها:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا برّاً ولم تك جافيا

وكنت رحيماً هادياً ومعلماً ليبكِ عليك اليومَ من كان باكيا

إلى آخر كلامها رضي الله عنها.

وذكر ابن القيم في كتابه «كتاب الكبائر» في السُّنَّة، و«البدعة» في بيان بدعة الرفض، قال الشيخ الحافظ السِّلَفي نزيل الإسكندرية بسنده إلى يحيى بن عطّاف المُعدل، حكى عن شيخ دمشقي جاور بالحجاز سنين قال:

كنت بالمدينة المنورة في سنةٍ مُجدِبةٍ، فخرجت يوماً إلى السوق لأشتري دقيقاً برُباعي، فأخذ الدّقاق الرُّباعي وقال لي: العن الشيخين حتى أبيعك الدقيق.

فامتنعت من ذلك؛ فراجعني مراتٍ وهو يضحك. فضجرتُ منه

وقلتُ: لعن الله من يلعنهما.

قال: فلطم عيني فسالت على خدي؛ فذهبت إلى صاحب لي فأخبرته، فرجعت إلى المسجد فجئت الحجرة فقلت: السلام عليك يارسول الله، قد جئناك مظلومين فخذ بثأرنا، ثم رجعنا.

فلما جنَّ الليل نِمتُ؛ فلما استيقظتُ وجدتُ عيني صحيحةً أحسن ماكانت، .. إلى آخر ماقال.

وذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في هذين الكتابين عن كمال الدِّين ابن العديم في: «تاريخ حلب» قال: أخبرني أبو العباس أحمد بن عبدالواحد، عن شيخ من الصالحين يُعرف بـ: عمر بن الرعيني قال: كنت مقيماً بمدينة الرسول ﷺ فخرجت بعض السنين في يوم عاشوراء الذي تجتمع فيه الإمامية لقراءة المصرع في قبة العباس، فوقفت على باب القبة فقلتُ: أُريد شيئاً في محبة أبي بكر.

قال: فخرج إليَّ واحدٌ منهم وقال: اجلس حتى أفرغ.

قال: فلما خرج؛ أخذ بيدي ومضى بي إلى داره وأنا أظنُ أنه يريد أن يُعْطِيني شيئاً فقال: أُدخل، فدخلتُ فسلّط عليَّ عبدين فكتفاني وأوجعاني ضرباً، ثم أمرهما فقطعا لساني، ثم قال: اخرج إلى الذي طلبت لأجله ليردَّ عليك لسانك.

قال: فخرج من عنده مقطوع اللسان، فجاء وهو يستغيث من الوجع إلى حجرة النبي ﷺ وجعل يقول: يا رسول الله، قُطع لساني في محبة صاحبك. فإن كان صاحبك حقاً؛ فأحبُ أن ترجع عليَّ لساني. وبات يستغيث بقلبه.

قال: فأخذتني سِنَةٌ من النوم، فاستيقظ فوجد لسانه في فِيه صحيحاً

كما كان(١)، وأن الذي قطع لسانه من الرافضة انقلب قِرداً.

وفي السنة الثانية ذهب إلى ذلك المكان فوجد ابنه، فأسلم هو وأهله وولده وتابوا من الرفض.

ففي هذين النقلين لابن القيم عن أكابر المحدثين وإقرارهما ورضاه بهما ولم يتعرض لهما باعتراض، بل ذكرهما في مقام الافتخار بالاستغاثة بسيد المرسلين، وأنَّ شفاعته ﷺ ثابتةٌ.

---

(١) ونحوه مارواه الإمام ابن دحية الأندلسي بسنده في كتابه: «الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات» ص ٣٨٤ إلى مُسند هراة الشيخ أبو عمر عبدالواحد المليحي قال: دخلت على الحاكم أبي عمرو حفيد الحسن بن سفيان النسوي بنيسابور وكان معه شيخٌ يقال له: عَلاّن.

فقال له الحاكم: اقصص حديثك على هذا – عَناني –.

فقال: كنت في بلد الرّي، وكنت أذكر فضائل الشيخين أبو بكر وعمر رضي الله عنهم، فأُنهي ذلك إلى الصّاحب، فأمر بأخذي ففرت منه إلى جرجان، وكنت يوماً في سوقها إذا أنا بقومٍ جاؤوني وشدُّوني إلى حمَّارة فحُملتُ إلى الرّي. فلما أُدخلت ثَمَّ؛ أمر الصّاحب بقطع لساني، فقطع ذاك، وكنت على حالةٍ من الألم وضيق الصدر.

فلما أن دخل الليل، رأيت فيما يرى النائم رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر وجماعة من أصحابه رضي الله عنهم، فقالا: يا رسول، هذا أُصيب فينا.

فدعاني رسول الله ﷺ ونفث في فمي، فانتبهت وليس بي شيءٌ من الوجع، وَرَدَّ عليَّ الكلام، وخرجت من ولايته إلى همذان وكانوا أهل السُّنة، فقصصت عليهم قصتي وظهر لي هناك قبولٌ، وكنت ثمّ مدة أنشر من فضائل الشيخين.

قال عبدالواحد: ففتح لنا علاّن فَاهُ فما رأينا فيه لساناً، فشاهدناه على ذلك وكان يكلمنا بكلام فصيح كما يكلم ذو اللسان. انتهى منه.

وأورد الإمام ابن النعمان المراكشي المتوفَّى سنة ٦٨٣هـ كثيراً من مثل هذه القصص في كتابه «مصباح الظلام» وكذا الإمام ابن أبي الدنيا في كتابه «مجابي الدعوة».

وكفى بنقل هذا العالم الذي هو معلومٌ تشديده في مثل هذه الأمور، مع أنَّ في هذين النقلين النداءُ له ﷺ والسؤال منه؛ ما هو عظيمٌ خارقٌ للعادة.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

فصلٌ

وأما قول العلماء في ندائه ﷺ وطلب الشفاعة منه؛ فكثيرٌ لا يدخل تحت الحصر، ولكن نذكر منه نبذةً يسيرةً من أقوال أئمة المذاهب الأربعة، منهم ابن تيمية، وابن القَيِّم وبقية فقهاء الحنابلة.

ولنقدِّم عبارة ابن تيمية لأنها عند هؤلاء؛ تطمئن قلوبهم لأقواله أكثر من اطمئنانهم بالآيات القرآنية، والأحاديث الصحيحة النبوية.

فنقول: قال ابن تيمية رحمه الله تعالى في «فتاواه»: سُئل فيمن يقول: لا يُستغاث برسول الله ﷺ، فهل يَحرمُ هذا القول، أم لا؟ وهل هو كفرٌ ويُكفَّرُ به قائله، أم لا؟ وإذا استدل القائل به بآياتٍ من كتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ، فهل ينفعهُ ذلك الدليل، أم لا؟ وإذا قام الدليل من الكتاب والسُّنة، فما يجب على من خَالفهُ في ذلك، والحَالةُ هذه؟.

الجواب: الحمد لله رب العالمين، قد ثبت بالسُّنة المستفيضة بل المتواترة واتفاق الأمَّة؛ أنَّ نبينا محمداً ﷺ هو الشافع والمُشفع، وأنه يشفع في الخلائق يوم القيامة، وأنَّ الناس يستغيثون به ويطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربهم، وأنه يشفع لهم. ثم اتفق أهل السُّنة والجماعة أنه يشفع في أهل الكبائر، فإنه لا يُخلَّد في النار من أهل التوحيد أحد.

وأمّا الخوارج والمعتزلة فأنكروا شفاعته للمؤمنين، وهؤلاء مبتدعة ضُلاّل، وفي تكفيرهم نِزاعٌ وتفصيل، وأمّا من أنكر ماثبت بالتواتر والإجماع، فهو كافر بعد قيام الحُجّة عليه، وسواءٌ سَمّىٰ هذا المعنى استغاثة، أو لم يُسمّه.

وأما من أقرَّ بشفاعته وأنكر ماكان الصحابة يفعلونه من التوسل والاستشفاع به كما روى البخاري في «صحيحه» عن أنس بن مالك أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا؛ استسقى بالعباس بن عبدالمطلب وقال: «اللهم إنّا كنّا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنّا نتوسل إليك بعمِّ نبينا فاسقنا»، فيسقون.

وفي «سنن أبي داود» أنَّ أعرابياً قال للنبي ﷺ: جهدت الأنفُس وجاع العيال وهلك المال، فإنّا نتشفع بك على الله، ونتشفع بالله عليك.

فسبح رسول الله ﷺ حتى عُرِفَ ذلك في وُجُوه أصحابه، وقال: «ويحك إنَّ الله لا يُستشفَعُ به على أحدٍ من خلقه، شأن الله أعظمُ من ذلك». . وذكر تمام الحديث.

فأنكر صلوات الله وسلامه عليه قوله: «نستشفع بالله عليك»، ولم يُنكر قوله: «نستشفع بك على الله» بل أقرّهُ عليه.

فَعُلِمَ جَوازُهُ؛ فمن أنكر ذلك فهو مُخطِىءٌ مُبتدعٌ، وفي كُفره نزاعٌ وتفصيل.

وأما من أقرَّ بما ثبت بالكتاب والسُّنّة والإجماع من شفاعته ﷺ والتوسل به ونحو ذلك ولكن قال: لا يُدعىٰ إلاّ الله، وأنَّ الأمور التي لا يقدر عليها إلاّ الله، فلا تُطلبُ إلاّ من الله مثل: غُفران الذنوب، وهداية القلوب، وإنزال المطر، وإنبات النبات. فهو مصيبٌ في ذلك، بل هذا مما لا نزاع فيه بين المسلمين. . .

إلى أن قال: كما روى الطبراني في معجمه «الكبير» أنه كان في زمن النبي ﷺ منافقٌ يؤذي المؤمنين، فقال أبو بكر رضي الله عنه: قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق.

فقال رسول الله ﷺ: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاثُ بالله»[1].

وإنما أراد به النبي ﷺ المعنى الثاني؛ وهو أن يُطْلَب منه مالا يقدر عليه إلاّ الله، وإلاّ فالصحابة كانوا يطلبون منه الدعاء، ويستسقون به كما في «صحيح البخاري» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ربما ذكرتُ قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله ﷺ يستسقي، فما ينزل حتى يجيش له الميازيب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثِمَالُ اليتامى عصمةٌ للأرامل

وهو قول أبي طالب: ولهذا قال العلماء المصنفون في أسماء الله تعالى: يجب على كل مُكلفٍ أن يعلم أن لا غياث ولا مُغيث على الإطلاق؛ إلاَّ الله. وأنَّ كلَّ غوثٍ فمن عنده، وإن كان جعل ذلك على يد غيره، فالحقيقة له سبحانه وتعالى، ولغيره مجازاً. . .

إلى أن قال: والاستغاثة بمعنى أن يُطلَب من الرسول ﷺ ماهو اللائق به، لا ينازع فيها مسلم. ومن نازع في هذا المعنى فهو إما كافرٌ إن أنكر مايكفر به، وإما مخطىءٌ ضالٌ. ومن أثبت لغير الله مالا يكون إلا لله، فهو أيضاً كافرٌ إذا قامت عليه الحُجّة التي يكفَّر تاركها. . .

إلى أن قال: ومن خالف ماثبت بالكتاب والسُّنّة؛ فإنه يكون إما كافراً، وإما عاصياً. إلاّ أن يكون مؤمناً مجتهداً مُخطئاً؛ فيثابُ على اجتهاده، ويُغفر له خطأه. وكذلك إن كان لم يبلغهُ العلم الذي تقوم عليه به الحُجة الثابتة بالكتاب والسُّنّة»، انتهى.

فانظر إلى هذه الفُتيا؛ فإنها فائدةٌ عظيمةٌ، ومنحةٌ جسيمةٌ، كم فيها من زجرٍ ونهيٍ لهؤلاء الضُّلال:

---

(1) الحديث ضعيف الإسناد، فيه ابن لهيعة

الأول: قوله: «ثبت بالسُّنة المتواترة أنَّ نبينا ﷺ الشافعُ المُشفع، وأنَّ الناس يستغيثون به ويطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربهم، وأنَّ الذي ينكر شفاعته ﷺ الخوارج والرافضة». وهذا هو قول صاحب «البردة»:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم

فإن مُراده: الإخبار أنه لا يشفعُ ذلك اليوم ولا يلوذ الناس به للشفاعة؛ إلاّ هو ﷺ بدليل قوله:

ولن يضيق رسول الله جاهك بي   إذا الكريم تجلى باسم منتقم

ولئن سلّمنا أنه طلبٌ وسؤالٌ؛ فقد قال رحمه الله تعالى: «والاستغاثة بمعنى أن يُطلب من النبي ﷺ ماهو اللائق به؛ لا ينازع فيه مُسلِم، ومن نازع في هذا المعنى؛ فهو إما كافرٌ أو مخطيءٌ ضالٌ».

ولا شك أنَّ صاحب «البردة» وغيره، طلبهم منه ﷺ الشفاعة، وهذا هو اللائق به كما قال أنه ﷺ الشافع المُشفع بالأحاديث المتواترة، وليس مقصوده غفران الذنوب منه مثلاً، فإنَّ هذا خاصٌ بالله تعالى، بل مُراده بالتشفع به دعاؤه ﷺ وشفاعته عند الله حتى يغفر ذنوب الطالب منه الشفاعة، بل لا يقصد به عوامُّ المسلمين غير هذا؛ فضلاً عن العلماء.

الثالث: قوله: «ولهذا قال العلماء المصنفون في أسماء الله تعالى: يجب على المكلف أن يعتقد أن لا مُغيث ولا غياث على الإطلاق إلاّ الله، وأنَّ كلَّ غوثٍ فمن عنده؛ وإن جعل ذلك على يد غيره، فالحقيقة له سبحانه وتعالى، ولغيره مجازاً».

وهذا هو الفارق بين المُوحّد والمُشرك في كلِّ شيء، ومع كلِّ أحدٍ حيٍّ أو ميت. كما ترى كلام الشيخ ابن تيمية فإنه يقول: إنَّ الممنوع طلب مالا يقدر عليه إلاّ الله؛ وهو: غفران الذنوب وهداية القلوب،

وإنبات النبات الذي يكون على الإطلاق. وحمل عليه قوله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «أنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله» أي لا يستغاث بي مالا يقدر عليه إلاّ الله، وهو الذي تقدم لا الشفاعة، فإنها هو الذي يَقدِرُ عليها النبي ﷺ وغيره، وليست الشفاعة من شأن الله تعالى كما قال ﷺ: «إنَّ الله أجلّ من أن يُشفع به إلى أحد».

الرابع: قوله في آخر الفتيا: «ومن خالف ماثبت بالكتاب والسُّنّة، فإنه يكون إما كافراً، وإما عاصياً، إلاّ أن يكون مؤمناً مجتهداً مُخطئاً، فيثاب على اجتهاده، ويُغفر له خطأه، وكذلك إن كان لم يبلغه العلم الذي تقوم به الحجة عليه.....».

فهذه العبارةُ رادَّةٌ على من يُكفر المسلمين مُطلقاً كهؤلاء الخوارج، ولا يعذرُون المجتهد المخطيء، ولا الجاهل الذي لا يعلم، فقد قال الشيخ تقي الدين: «بأنَّ هذا يُثابُ على اجتهاده ويغفر له خطأه».

وللشيخ فُتيا أخرى وجوابٌ له أبسطُ من هذا، ومعناه يؤول إلى ذلك، فارجع إليه إن أردته في أماكنه.

وقال الشيخ في «اقتضاء الصراط المستقيم»: «وما رُوي أنَّ رجلاً جاء إلى قبر النبي ﷺ فشكى إليه الجدب عام الرمادة، فرآه وهو يأمره ﷺ أن يأتي عمر رضي الله عنه فيأمرهُ يستسقي بالناس.

قال: فمثلُ هذا يقعُ كثيراً لمن هو دُون النبي ﷺ، وأعرِفُ من هذا وقائع. وكذلك سؤال بعضهم للنبي ﷺ حاجةً أو غيره من أمته فتقضى، فإنَّ هذا وقع كثيراً، ولكن عليك أن تعلم أنَّ إجابة النبي ﷺ أو غيره من أمته لهؤلاء السائلين؛ لا يدلُّ على استحباب السؤال، وأكثر هؤلاء السائلون الملحين لما هم عليه من ضيق الحال؛ لو لم يُجابوا لاضطرب

إيمانهم، كما كان السائلون له في حياته ﷺ كانوا كذلك»، انتهى[1].

فدلَّ كلامه هذا: أنَّ السائلين للحاجات من النبي ﷺ وغيره لا يُستحبُّ لهم عنده، وعند غيره يُستحب، ولم يقل أحدٌ بناءً على قول الشيخ أنَّ فاعل غير المستحبِّ يكون كافراً ولا آثماً، ويدلُّ عليه قوله: «لو لم يُجابوا لاضطرب إيمانهم»، فأثبت لهم الإيمان ولم ينفه عنهم. وللشيخ نُصوصٌ بهذا المعنى كثيرةٌ في «اقتضاء الصراط المستقيم».

وهذا النجدي قد حَرَّفَ هذه النصوص ولَبَّسها في كلامه، فارجع إلى هذا الكتاب وانظر نقلنا من نقله، ليظهر لك علمُهُ من جهله.

وقال موفق الدّين بن قُدامة الحنبلي رحمه الله تعالي في كتابه «المُغني» شرح «الخِرقي» وهو شيخ [شيوخ] ابن تيمية حتى قال فيه كما نقله ابن رجب وابن العماد الحنبلي في «الشذرات»: ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الشيخ الموفق.

وقال الحافظ الضياء المقدسي رحمه الله تعالى: رأيتُ الإمام أحمد رحمه الله في النوم فقال: ما قصّر صَاحِبك الموفق في شرح «الخِرقي».

وقال عزالدين ابن عبدالسلام رحمه الله: ما رأيت في الإسلام مثل «المغني» للمُوفق في جودته وتحقيق ما فيه.

قال رحمه الله تعالى: «ويروى عن العُتبي رحمه الله قال: كُنت جالساً عند قبر النبي ﷺ، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ

(١) تقدم ذكر هذه العبارة من قول المعترض، ويفعل هؤلاء من ترديد عبارات توافق هواهم من كلام ابن تيمية ولا يذكرون عنه العبارات التي توافق جماهير الأئمة.

وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ وقد جئتك مستغفراً من ذنبي، مُستشفعاً بك إلى ربي.

ثم أنشد يقول:

يا خير من دفنت في الأرض أعظمه ... وطاب من طيبهنَّ القاع والأكمُ

روحي فداءٌ لقبرٍ أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرمُ

فانصرف الأعرابي فحملتني عيني، فرأيت النبي ﷺ فقال: «ياعُتبي، الحق الأعرابي فبشرهُ أن الله قد غفر له».

فيستحب لمن دخل المسجد أن يُقدم رجله اليمنى. . .

إلى أن قال: اللهم إنك قُلت وقولك الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ. . .﴾ الآية، وقد أتيتك مستغفراً من ذنبي، مستشفعاً بك إلى ربي. . . إلخ».

فقوله: «مستشفعاً» إلخ، طالباً منه الشفاعة، لأنَّ (السين) للطلب، فَخِطَابُهُ لرسول الله ﷺ وطلب الشفاعة؛ دليلٌ على أنَّ ذلك مستحبٌ.

وذكر شمس الدين ابن قُدامة الحنبلي في «الشرح الكبير» وهو شرح «المقنع» في آخر الحج في «باب زيارة النبي ﷺ» هذه الرواية عن العتبي، وذكر للزائر أن يخاطب النبي ﷺ ويَطلب منه ﷺ الشفاعة.

وهذا «الشرح الكبير» نحو خمسة عشر مجلداً، نقل منه ابن عبدالوهاب في «مختصره» الذي في الفقه، وهو أيضاً من مشايخ شيوخ ابن تيمية.

قال الذهبي: رأيتُ بخط شيخنا شيخ الإسلام ابن تيمية مانصه:

تُوفيِّ سيد أهل الإسلام في زمانه، وقطب فلَك الأيام في أوانه، وحيد الزمان حقّاً حقّا، وفريد العصر صدقاً صدقا، الجامع لأنواع المحاسن والمعالي، البريء عن جميع النقائص والمساوي، حتى إن

كان المُتعنّت ليطلب له عيباً، فيعوزه. . إلى آخر كلامه، ذكره ابن العماد في «الشذرات».

وقال ابن مُفلح في «شرح المقنع»: «قال في المذهب: يجوز أن يُتَشفّع إلى الله تعالى برجلٍ صالح، وقيل: يستحب.

قال أحمد في «منسكه» الذي كتبه للمروزي: إنه يتوسل بالنبي ﷺ في دعائه، وجزم به في «المستوعب» وغيره»، انتهى.

وذكر في «المستوعب» رواية العُتبي، وذكر الآية، وقال كما في «المُغني» و«الشرح الكبير» وزاد: «اللهم إني أتوجه إليك بنبيك ﷺ نبي الرحمة، يا رسول الله، إني أتوجهُ بك إلى ربي ليغفر لي ذنوبي. اللهم إني أسالك بحقّهِ أن تغفر لي ذنوبي»، انتهى.

وهذا الذي ذكر الإمام أحمد في «منسكه» للمروزي، كما قال في «المُبدع» وجزم في «المُستوعب» فهذه العبارة التي تقدمت؛ هي عبارة «المُستوعب».

وفي «مُغني ذوي الأفهام» لابن عبدالهادي رحمه الله - وهو من تلاميذ [التلاميذ] لابن تيمية -: «ويجوز التوسل بالصالحين أحياءً وأمواتاً»، وجعل عليه علامة المذاهب الأربعة.

وفي «الرعاية الكبرى» لابن حمدان في «باب الاستسقاء»: «ويُباح التوسل بمن يُرجىٰ الإجابة من الصلحاء والعلماء وغيرهم.

قلت: وإن بعدوا أو قربوا، ولم يخرجوا مع الناس». انتهى.

قال ابن مُفلح في «الفروع»: «ويجوز التوسل بالنبي ﷺ في دعائه، وجزم به في «المستوعب» وغيره، وجعلها شيخنا كمسألة اليمين به ﷺ.

قال: والتوسل بالإيمان به ﷺ وطاعته ومحبته، وبدعائه وشفاعته ونحوه مما هو من فعله، أو أفعال العباد المأمور بها في حقه؛ مشروعٌ

وهو من الوسيلة المأمور بها في قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾»، انتهى.

ولا شك أنَّ صاحب «البردة» متوسلٌ بشفاعته ﷺ في قوله:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به   سواك عند حُلولِ الحادث العَمَمِ

وهو الشفاعة يوم القيامة، ولهذا قال بعده:

ولن يضيق رسول الله جاهُكَ بي   إذا الكريم تجلى باسم مُنتقمِ

وأما صفةُ التوسل الذي كتبه الإمام أحمد للمروزي رحمهما الله وجزم به في «المُستوعب»، فهو ما ذكرناه عنه سابقاً، وليس في «المستوعب» غيره. وهو قوله: يا رسول الله، إني أتوجه بك إلى ربي ليغفر لي. . .

وفي «الغُنية» عن سيدنا الشيخ عبدالقادر الجيلي الحنبلي في «باب الزيارة»: «اللهم إني أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة. يا رسول الله، إني أتوجه بك إلى ربي ليغفر لي ذنوبي، اللهم إني أسألك بحقه أن تغفر لي».

وذكر الشيخ يحيى الصرصري في شعره الاستغاثة برسول الله ﷺ وهو من أقران مجد الدِّين جدُّ الشيخ تقي الدِّين ابن تيمية وأثنى عليه تقي الدين في كتابه «الانتصار» فقال: الفقيه الصالح صاحب الشعر المشهور، وذكر شيئاً في مدح الإمام أحمد رحمه الله، وأنه مدحهُ في شعره، وهي قصيدة اللاّمية التي فيها العقيدة في آخرها:

ولستُ من الخطب المُلم بخائفٍ   وأنت لدى كلِّ الحوادث لي ولي

بعدما خاطبه بقوله:

لأنت إلى الرحمن أقوى وسيلةٍ   إليه بها في الحادثات توسلي

وسلْ لي ربَّ العالمين يُميتني   على السُّنّة البيضاء غير مُبدِّلِ

وقال في قصيدة أخرى:

ألا يا رسول الله أنت وسيلتي   إلى الله إن ضاقت بما رُمتُ حيلتي

إلى أن قال:

وأنت نصيري في خُطوبٍ تتابعت   عليَّ وذُخري عند فقري وعيلتي

وقال في أخرى:

يا سيدي يا رسول الله يا سندي   في كلِّ خطبٍ ثقيلٍ موجع الألمِ

يامن إذا فرّ مطلوب أخو رهبٍ   إليه من فاقرات الدهر لم يضمِ

فاستغفر الله لي يامن إذا نزلت   بي شدةٌ أنجو به من النقمِ؟

واقبل تضرع عبدٍ واثقٍ بك في   دفع الخطوب العوادي عنه معتصمِ

وقال في أخرى:

أتوخى بـها رضـاك فَعجِّلِ   جبر يحيى بن يوسف الحنبلي

وقال:

بك أستجير وأستغيث وأرتجي   أني بجاهك في المعاد أفوز

وكلّ ديوانه هكذا، وديوانه مشهور في أقطار الدنيا من قبلِ زمان ابن تيمية إلى يومنا هذا، فلم يعترض عليه أحدٌ، بل مدحه تقي الدين ابن تيمية بقوله: الفقيه الصالح صاحب الشعر المشهور. فلو كان نداء النبيﷺ والسؤال منه وطلب شفاعته شركاً وكُفراً، لتكلم عليه وذمّه وحذّر الناس من شعره، والتكلم به والنظر فيه.

فلما لم يتكلم عليه أحدٌ من جميع العلماء من زمانه إلى يومنا هذا؛ دلّ على أنّ هذه الأمور ليست من الشرك الأكبر، بل ولا من الشرك الأصغر، لأن الشرك الأصغر وإن لم يكن مُخرجاً عن الملة، فهو مُحرمٌ

أو مكروهٌ مسقطٌ للعدالة.

وقد أثنى على الصرصري رحمه الله تعالى العلماء ومدحوه على الشعر، منهم تقي الدِّين ابن تيمية، ومنهم ابن رجب في «الطبقات»، ومنهم عبدالحي ابن العماد الشامي الحنبلي في كتابه «شذرات الذهب» وغيرهم من المؤرخين.

قال ابن رجب في «الطبقات» في ترجمته: «وديوانه ومدائحه سائرةٌ، وكان حسان وقته، وقرأ القرآن بالروايات، وعلى أصحاب الحديث: «إذا أعيتكم الأمور، فاستعينوا بأهل القبور»»، انتهى.

وفي «شرح الإقناع» وغيره في «باب الحج» كما في «الشرح الكبير» و«المُغني» من طلب الشفاعة منه ﷺ والتوسل به.

وذكر ابن عساكر رحمه الله تعالى البطائحي [فقال]: «وسمع الحديث على ابن إدريس اليعقوبي الزاهد صاحب الشيخ عبدالقادر، وأجاز له الشيخ عبدالمغيث الحربي وغيره، وحفظ الفقه واللغة، وكان يتوقد ذكاءً. ويقال: إنَّ مدائحه بالنبي ﷺ تبلغ عشرين مجلداً، وكان صالحاً قُدوةً، كثير التلاوة عظيم الاجتهاد، صبوراً قنوعاً مُحباً لطريقة الفقراء، وكان يحضر معهم السَّماعَ ويُرخص في ذلك، وكان شديداً في السُّنّة مُنحرفاً على المخالفين لها، وشعره مملوءٌ بذلك - أصول السُّنّة -، وكان رأى النبي ﷺ في منامه وبشّره بالموت على السُّنة، ونظم في ذلك قصيدةً طويلةً معروفة، وسمع منه الحافظ الدمياطي وحدّث عنه، وذكره في «معجمه»، انتهى.

وقال الشيخ شبيب بن حمدان أخو صاحب «الرعايتين» الحنبلي الحرّاني، وهو ابن عمِّ مجد الدِّين ابن تيمية: عارض «بانت سعاد» بقصيدةٍ عظيمةٍ منها قوله يُخاطب النبي ﷺ:

فاشفع لقائلها يامن شفاعته   تفكُّ من هو مكبوتٌ ومكبُول

وطبقته سنة خمس وتسعين وست مئة.

ومن قصيدته كما قال ابن العماد الحنبلي في «الشذرات» نقلاً عن «طبقات» ابن رجب:

مجدٌ كبا الوهم عن إدراك غايته   وردَّ عقل البرايا وهو معقول

طوبى لطيبة بل طوبى لكل فتى   له بطيب ثراها الجَعد تقبيل

وفي «منسك» الشيخ سليمان بن علي، مثل مافي «المُغني» شرح «الخِرقي»، و«الشرح الكبير» من طلب الشفاعة من النبي ﷺ. وفي «حاشية الزاد» للعتيلي الحنبلي: التوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين جائزٌ، وذكر الحديث: «إذا أعيتكم الأمور، عليكم بزيارة القبور».

وهذه النصوص في كتبٍ عندي مع قِصرِ باعي وقلة اطلاعي، وقد تركت كثيراً منها خوف السَّآمة والملامة، ومن لم ينفعه الله؛ لم ينفع نُصح المَلاِ له.

فهذه نصوص ابن تيمية وعلماء الحنابلة، بل نصُّ الإمام أحمد رحمه الله تعالى في «منسكه» للمروزي، فقد أطبق متقدموهم ومتأخروهم على ندائه وخطابه وطلب الشفاعة منه ﷺ.

فكيف يَصحُّ أن يقال: هذا كفرٌ وشرك، فهل هذا إلا جهلٌ وإفكٌ على نُصوص العلماء الأعلام ؟!!

أمّا نُصوص الأئمة الحنفية؛ فقد ذكروا في باب الزيارة وغيرها، ولم أعلم خِلافاً عندهم في هذه المسألة.

قال صاحب «المختار للفتوى» وشرحه وهو من متقدمي الحنفية في آخر الحج في «باب الزيارة»: «فيقول: يارسول الله، نحن وفدك وزُوَّار

قبرك، جئنا من بلادٍ شاسعة، ونواحي بعيدة قاصدين قضاء حَقّك، والنَّظَر إلى مآثرك، والتيامن بزيارتك، والاستشفاع بك إلى ربنا، فإنَّ الخطايا قد أثقلت ظهورنا، وأنت الشَّافع المُشفع الموعود بالشفاعة والمقام المحمود، وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ إلخ، وقد جئناك ظالمين لأنفسنا، مستغفرين لذنوبنا، فاشفع لنا عند ربنا، واسأله أن يُميتنا على سُنَّتك. الشفاعة يا رسول الله، الشفاعة يا رسول الله، الشفاعة يا رسول الله». انتهى.

وقد أطبق علماء الحنفية على مثل هذه العبارة.

قال الشيخ علي القاري رحمه الله تعالى في كتابه[1] في زيارة النبي ﷺ: «ويتوسَّل به ﷺ في حَقّ نفسه ويتشفَّع به إلى ربه. قال أهل المناسك من جميع المذاهب: ومن أحسن ما يقول؛ ما جاء عن ابن عُتَيبة ـ أي أثر الأعرابي الذي جاء إلى قبره ﷺ، فقد تقدم ـ.

قال: وينبغي أن يكثر الاستغفار ويستدعي منه ﷺ أن يستغفر له فيقول: نحن وفدك وزُوّارُ قبرك يا رسول الله، جئنا لقضاء حَقّك والتبرك بزيارتك والاستشفاع بك مما أثقل ظهورنا وأظلم قلوبنا، فليس لنا شفيعٌ غيرك نؤمله، ولا رجاء غير بابك نطلبه، فاستغفر واشفع لنا إلى ربك يا شفيع المذنبين، واسأله أن يجعلنا من عباده الصالحين». انتهى.

وذكر الطرابلسي رحمه الله في «مناسكه» ونقل صاحب «الدُّر» في الحج عنه، فذكر مثل عبارة شرح «المختار» المتقدمة، وكذا في «مناسك» الكرماني الحنفي، وفي «مناسك» الفارسي عن أبي الليث السمرقندي.

---

(١) هو كتاب: «الدرة المضية في الزيارة المصطفوية».

وقال الشيخ خير الدّين الرّملي رحمه الله تعالى في «الفتاوى الخيرية» قال: وأمّا قولهم: شيء لله يا عبد القادر. فهو نداء، وإذا أُضيف شيءٌ لله؛ فما المُوجب لِحُرمته؟! وردَّ على المُنكر لهذه الكلمة بأبلغ الردّ.

وقال السيد أحمد الحموي الحنفي مُحشّي «الأشباه» في رسالته «نفحات القُرب والاتصال» قال: «وأمّا بعد مماتهم، فتصرفهم إنما هو بإذن الله تعالى وإرادته، لا شريك له خلقاً وإيجاداً، أكرمهم الله به وأجراه على أيديهم وبسببهم خرقاً للعادة، تارةً بإلهام، وتارةً بدعائهم، وتارة بفعلهم واختيارهم، وتارة بغير اختيارهم، وتارة بالتوسل بهم إلى الله تعالى في حياتهم وبعد مماتهم؛ ممّا يمكن في القدرة الإلهية.

ولا يقصد الناس بسؤالهم ذلك منهم قبل الموت وبعده؛ بنسبتهم إلى الخلق والإيجاد والاستقلال بالأفعال، فإنّ هذا لا يقصده مسلم، ولا يخطر ببال أحدٍ من العوام، فضلاً عن غيرهم.

فصرف الكلام إليه ومنعه؛ من باب التلبيس في الدّين، وتشويش على عوامٍ مُوحدين. وكيف يحكم بالكفر على من اعتقد ثبوت التّصرف لهم في حياتهم وبعد مماتهم؛ حيث كان مرجع ذلك إلى قدرة الله تعالى خلقاً وإيجاداً؟! كيف وكُتبُ جمهور المسلمين طافحةٌ به، وأنه جائزٌ وواقع لا مرية فيه البتة؛ حتى يكاد أن يلحق بالضروريات، بل بالبديهيات؟!

وذلك لأنّ جميع كرامات هذه الأمّة في حياتهم وبعد مماتهم تصرفاً أو غيره؛ من جُملة معجزات النبي ﷺ الدالة على نبوته وعموم رسالته الباقية بعد موته ﷺ لا ينقطع دوامها، ولا تجددها بتجدد الكرامات في كل عصر من الأعصار إلى يوم القيامة». انتهى.

ونقل البرماوي رحمه الله تعالى في «الدلائل الواضحات في إثبات

الكرامات في الحياة وبعد الممات» ممّا نصّ على ثبوتها بعد الممات؛ شيخ الإسلام ابن الشِّحْنة الحنفي، والشيخ عبد الباقي المقدسي في «السيوف الصِّقال» والشيخ أحمد [؟] الحنفي، وعبارتهم كعبارة الشيخ أحمد الحموي. وزادوا: ولا ينكرها إلاّ مخذولٌ فاسدُ الاعتقاد في أولياء الله.

فهذا كما ترى في الأولياء، فما بالكَ بسيد الأنبياء ﷺ وإمام الأولياء. فطلبُ الشفاعة منه والتوسل به ﷺ جائزٌ.

وقال الشيخ حسن الشُّرُنْبُلالي الحنفي في «إمداد الفتاح» شرح كتابه «نور الإيضاح» من بحث الزيارة، فذكر مثل ما ذكره الشيخ صاحب «الاختيار» والشيخ علي القاري مما تقدم نقله من الطلب منه ﷺ والتوسل به وطلب الشفاعة. فلا حاجة إلى إعادة العبارة، فإنّ الحُرَّ تكفيه الإشارة.

وأمّا الأئمة الشافعية؛ فقال الإمام النووي رحمه الله تعالى في «الأذكار»، و«المناسك»، و«شرح المُهذب» في بحث الزيارة النبوية: «ثمّ يرجع إلى قبالة وجه النبي ﷺ ويتوجه به في حَقّ نفسه ويستشفع به ﷺ إلى ربه سبحانه وتعالى. ومن أحسن ما يقول؛ ما ذكره أصحابنا عن العُتبي مستحسنين له قال: كنتُ جالساً عند قبر النبي ﷺ، فجاء أعرابيٌّ فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ . . .﴾ الآية، وقد جئتك مُستغفراً من ذنبي، مُستشفعاً بك إلى ربي». انتهى.

وقال البيهقي رحمه الله تعالى في «شعب الإيمان»: «ولا يُقرِّبُ المَلِكُ من حضرته إلاّ من يرى أنه يَصلُح لآداب حضرته، وهم عُبّاده المقربُون الصادقون الطاهرون الزاهدون المُؤثرون المكرمون المطهرون،

ونحن الفقراء المساكين الناظرون إلى تحت أقدامهم بعين الفقر والمسكنةِ، المتعلقون بأطراف أذيالهم، راغبين بالضراعة في شفاعتهم، لعل قلوبهم الرحيمة تنظر إلينا لرأفتهم ورحمتهم؛ فيرانا مولانا في قلوبهم؛ لأنهم مواضع نظره من الخلق، فيرحمنا بنفحةٍ من نفحاتهم، وينفعنا بمحبتهم. . .» إلى آخر كلامه.

وهذا كما ترى في سائر عباد الله الصالحين، فكيف بشفاعة المرسلين؟ لا سيما سيّدهم على الإطلاق، وفخر الأنبياء بالاتفاق.

وقال العلامة المجتهد سراج الدّين البُلقيني من بعض جواب سؤالٍ رُفع إليه فيمن قال في مدح النبي ﷺ[1]:

فاشفع لقائلها يا من شفاعته تفكُّ من هو مكبوتٌ ومكبولُ

فاعترضه مُعترضٌ بأنَّ السُّؤال للنبي ﷺ لم يَرِد.

فقال رحمه الله في الجواب: «الله الله، لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، نَعُوذ بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن. لقد ارتكب هذا المُعترض قبائح أتى بها على أنها نصائح، فجاءت عليه فضائح. لقد أخطأ وما أصاب، وكثر به وبأمثاله المُصاب. . .

إلى أن قال: ولقد جهل جهلاً قبيحاً بقوله، فأمّا سؤال النبي ﷺ نفسه؛ فلا كيف نسأله وهو وسيلتنا ووسيلة أبينا آدم من قبلنا إلى ربنا، وقد سأله عُكاشة وغيره من الصحابة رضي الله عنهم كما ثبت في «الصحيح». . . .» إلى آخر كلامه.

وقال الإمام المجتهد شيخ الإسلام تقي الدّين السبكي كما ذكره في

(١) تقدم ذكر البيت منسوباً إلى الشيخ شبيب بن حمدان الحنبلي، وهو ابن عم تقي الدين ابن تيمية.

«شفاء الأسقام» ونقله المُناوي وغيره في «شرح الجامع الصغير» ما نصه:

«ويَحسُنُ التوسل والاستغاثةُ والتشفُّعُ بالنبي ﷺ إلى ربه، ولم ينكر أحدٌ من السلف والخلف ذلك حتى جاء ابن تيمية فأنكر ذلك وعدل عن الصراط المستقيم، وابتدع ما لم يقله عالمٌ قبله، وصار بين الأنام مُثْلة.

وقال أيضاً: يجوز التوسل بسائر الصالحين، والقول بالخصوص للنبي ﷺ، قول بلا دليل».

وقال العلامة القسطلاني رحمه الله تعالى شارح «البخاري» في كتابه «المواهب اللدنية»: ويجوز الاستغاثة والتشفع والتوسل به ﷺ، فجديرٌ لمن استشفع به أن يشفعه الله، فلا فرق بين أن يُعبر بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو التشفع أو التوجه، فكلُّ من هذه الأشياء واقعة منه ﷺ كما ذكره في «تحقيق النُّصرة»[1]، و«مصباح الظلام»[2] قبل خلقه وبعده، في حياته وبعد مماته في مُدّة البرزخ، وبعد البعث، وفي عرصات القيامة، ثمّ ذكر الأدلة على ذلك.

وقال في هذا الكتاب في بحث معجزاته ﷺ: «وأمّا القسم الثاني وهو ما وقع بعد وفاته؛ فكثيرٌ جداً إذ في كُلّ حين يقع لخواصّ أمّته من خوارق العادات بسببه ممّا يدلُّ على تعظيم قدره الشريف ما يُحصى من الاستغاثة به، وغير ذلك مما يأتي في المقصد الأخير في أثناء الكلام على زيارة قبره الشريف المنير ﷺ». انتهى.

وقال أيضاً في بحث الزيارة بعد ذكر الأدلة على حُسْن التوسل به ﷺ

(١) «تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة» للإمام أبي بكر المراغي (ت ٨١٦هـ).

(٢) «مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام» للإمام محمد بن موسى النعماني المزالي المراكشي المتوفى سنة ٦٨٣هـ.

والتشفع: فعليك أيها الطالب إدراك السعادة والمُؤمِّل لِحُسنِ الحال في عالم الغيب والشهادة؛ بالتعلق بأذيال عطفه وكرمه، والتطفُّل على موائد نعمه، والتوسل بجاهه الشريف، والتشفع بقدره المُنيف، فهو الوسيلة إلى نيل المعالي، واقتناص المرام، والمفزع يوم الجزع، واطلع لكافة الرسل الكرام، واجعله أَمامَك فيما نزل بك من النّوازل، وإمامَك فيما تحاول من القُرَب والمنازل، فإنك تظفر من المراد بأقصاه، وتدرك رضا من أحاط بكل شيءٍ علماً وأحصاه.

وقال قبل هذه العبارة بقليل: «وأما التوسل به ﷺ في عرصات القيامة؛ فمما قام عليه الإجماع وتواترت به الأخبار في حديث الشفاعة». انتهى.

وقال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه «المستقصى في فضائل المسجد الأقصى» في بحث زيارة الخليل عليه السلام ما نصه: «ويقول الزائر: يا نبي الله، إني متوجهٌ بك إلى ربي في حوائجي لتقضى لي...

إلى أن قال: ثم يتوجه إلى الله بجميع أنبيائه، خصوصاً بسيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ». انتهى.

وقال العلامة السمهودي في «خلاصة الوفا»: «وإذا جاز التوسل بالأعمال كما صحّ في حديث الغار، وهي مخلوقة، فالسؤال به ﷺ أولى، ولا فرق بين التعبير بالتوسل أو الاستغاثة أو التشفع أو التجوّه، أو التوجّه به ﷺ في الحاجة، وقد يكون ذلك بمعنى طلب أن يدعو كما في حال الدنيا، إذ هو غير ممتنعٍ مع علمه ﷺ بسؤال من سأله...».

ثمَّ ذكر حديث عام الرمادة وغيره، إلى آخر كلامه.

وقال في الزيارة من هذا الكتاب: «ثم يقول: يا رسول الله، إنَّ الله قال فيما أنزل عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ..﴾ الآية، وقد وفدتُ عليك زائراً، وبك مُستجيراً سائلاً منك أن تشفع لي إلى

ربي، فأنت شفيع المذنبين، الوجيهُ المقبولُ عند رب العالمين. وها أنا مُعترفٌ بذنبي، متوسلٌ بك إلى ربي، أتشفعُ بك إليه لعله يرحم عبده وإن أساء، ويعفو عمّا جنى، ويعصمه ما بقي في الدنيا ببركاتك وشفاعتك، يا خاتم النبيين وشفيع المذنبين.

أنت الشفيع وآمالي معلقة ... وقد رجوتك يا ذا الفضل تشفعُ لي

هذا نزيلك أضحى لا ملاذ له ... إلاّ جنابك يا سؤلي ويا أملي

انتهى.

وقال العلامة ابن حجر الهيتمي في كتابه «الجوهر المنظم في زيارة القبر المعظم»: «وبالجملة؛ إطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوثٌ ولو نبياً كسباً أمر معلومٌ لا شكَّ فيه لغةً وشرعاً، فلا فرق بينه وبين السؤال، ولا سيما مع ما نُقل في حديث «البخاري» في الشفاعة يوم القيامة: «فبينما هم كذلك؛ استغاثوا بآدم، ثم موسى، ثم محمد ﷺ».

وقد يكون التوسل به طلب الدعاء منه؛ إذ هو ﷺ حيٌّ يَعلمُ من يسأله. وقد صحَّ في حديث طويل أنَّ الناس أصابهم قحط زمن عمر رضي الله عنه، فجاء رجلٌ إلى قبر النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا...» إلى آخر كلامه.

ومِثْله في «حاشية الإيضاح» له، و«مناسكه».

وقال الشهاب الرملي ما نصه: «الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين؛ جائزةٌ، وللأنبياء والمرسلين والعلماء والصالحين إغاثة بعد موتهم، لأنَّ معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء لا تنقطع بموتهم».

انتهى.

وقال الخطيب الشربيني، والرّملي الصغير في «المناسك» كما ذكر النووي رحمه الله تعالى فيما تقدم من طلب الشفاعة منه ﷺ والتوسل

به، وأنه من المُستحبات.

وقال الشَّوبَري مُحشي «شرح المنهاج» في جواب سؤال رُفع له:

«ويجوز التوسل إلى الله تعالى والاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والعلماء والصالحين بعد موتهم، لأنَّ معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء لا تنقطع بموتهم، وأمّا الأنبياء فلأنهم أحياء في قبورهم يُصلون ويحجون، كما وردت الأخبار». انتهى.

قال المناوي رحمه الله في «مناسكه» التي على المذاهب الأربعة:

«ويتوسل بالمصطفى ﷺ لنفسه وليستشفع به إلى ربه». انتهى.

وأما الفقهاء المالكية؛ فقد نقل القاضي عياض في «الشفا» عن إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى: «أنه قال لأبي جعفر المنصور لما سأله عن استقبال القبر حين الدعاء، فقال الإمام مالك له: ولم تَصرفُ وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم من قبلك، بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله». انتهى.

ومعنى «استشفع به» أي: اطلب منه الشفاعة.

وقال ابن الحاج المالكي في كتابه «المدخل»: «وأما عظيم جناب الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فيأتي إليهم الزائر فيتوسل إلى الله في قضاء مآربه، ومغفرة ذنوبه، ويستغيث بهم ويطلب حوائجه منهم، ويجزم بالإجابة ببركتهم، ويُقوي حُسنَ ظنه في ذلك وأنهم باب الله المفتوح.

وجرت سُنّة الله بقضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم، ومن عجز عن الوصول إليهم؛ فليرسل بالسلام عليهم، ويذكر ما يحتاجه إليه من حوائجه وغفر ذنوبه وستر عيوبه، إلى غير ذلك، فإنهم السّادة الكرام، والكرام لا يردُّون من سألهم ولا من توسّل بهم، ولا من لجأ إليهم.

هذا في زيارة سائر الأنبياء والمرسلين، وأما في زيارة نبينا ﷺ سيد الأولين والآخرين؛ فيزيد على ذلك أضعافاً مضاعفة، لأنه الشافع المشفع الذي لا تُردُّ شفاعته، ولا يخيب من قصده ولا من نزل بساحته، ولا من استعانه أو استغاث به؛ لما شهدت به المُعاينة والآثار.

ثم ذكر حديث «الصحيحين»: «إنما مَثَلي ومَثَلكم، كمثل الفَرَاش تقعون في النار وأنا آخذٌ بِحُجُزكم» دليلٌ على استحباب التوسل والاستغاثة به، فإنَّ الدليل عامٌ ولا يختصُّ بزمان دون زمان، كما لا يختصُّ بشخص دون شخص»، انتهى.

وقال العلامة أبو عبد الله ابن النعمان المالكي رحمه الله تعالى في كتابه «مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام»: «إنَّ الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجّه بالنبي ﷺ واقعٌ في كلِّ حال قبل خلقه وبعد خلقه، في مدّة حياته وبعد موته، في البرزخ، وفي عرصات القيامة».

وذكر من ذلك جملةً صالحةً، وهو كتاب نفيس، عشرين كراساً فيما رأيته.

وذكر أبو داود المالكي في كتابه «البيان والانتصار» شيئاً كثيراً ممّا وقع للعلماء والصلحاء من الشدائد؛ فالتجئوا إلى النبي ﷺ فحصل لهم الفرج بإذن الله تعالى.

وقال الشيخ المُحدِّث ابن أبي جمرة المالكي مُختصِر البخاري وشارحه: «لمّا دخلت مسجد المدينة، ما جلستُ إلاّ الجلوس للصلاة، وما زلت واقفاً هناك حتى رحل الرَّكبُ، ولم أخرج للبقيع ولا غيره، ولم أر غيره ﷺ. وقد خطر لي أن أخرج إلى البقيع، فقلت: إلى أين أذهب! هذا باب الله المفتوح للسائلين والطالبين، والمنكسرين والمضطرين، والفقراء والمساكين، وليس ثَمَّ من يُقصَدُ مثله»، انتهى.

يعني النبي ﷺ.

وقال العلامة الفيشي المالكي رحمه الله تعالى في «شرح العِزّية» نقلاً عن الشيخ خليل صاحب «المختصر» المشهور في مذهب مالك رحمه الله تعالى في «منسكه» عن القابسي، وأبي بكر بن عبد الرحمن وغيرهما قال: «تأتي القبر وأنت متصفٌ بكثرة الذُّل والسكينة والانكسار والفقر والفاقة والاضطرار والخضوع، وتُشعِر نفسك أنك واقفٌ بين يديه عليه الصلاة والسلام، إذ لا فرق بين حياته ومماته، وقد ورد أنَّ أعمال أمته تعرض عليه غدوة وعشية، فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم. وليتوسل به ﷺ ويسأل الله بجاهه، إذ هو مَحطُّ جبال الأوزار وأثقال الذنوب، لأنَّ بركة شفاعته وعظمها عند ربه لا يتعاظمها ذنب. ومن اعتقد خلاف ذلك؛ فهو المحروم الذي أطمس الله بصيرته، وأضل سريرته.

ألم ير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾؟!» انتهى.

فهؤلاء الذين نقلنا عنهم من أئمة المذاهب الأربع هم عُمدة أهل كل مذهب، وغيرهم مثلهم، ولكنَّا لو أردنا أن ننقل كلّ من ذُكِرَ، لضاق النِّطاق ونفدت الأوراق. وهؤلاء هم فقهاء المذاهب ونقلة الدّين، والناس عنهم أخذوا أقوال أئمتهم من المذاهب.

وقد قال الذهبي عن شيخه ابن تيمية في «مختصر منهاج الاعتدال»:

«إنَّ جميع أرباب الفنون يجوز عليهم الخطأُ إلّا الفقهاء والمُحدِّثون، فلا هؤلاء يجوز عليهم الاتفاق على مسألةٍ باطلةٍ، ولا يجوز على هؤلاء التَّصديقُ بكذبٍ، ولا التكذيب بصدقٍ». انتهى.

وهؤلاء الخوارج جعلوا رأس مالهم الطعن في نَقَلَة الدين وسُوءَ الظنّ بهم وعدم الرضا بأقوالهم المخالفة لهواهم. فإن كانوا عندك مرضيين

أيها المعترض؛ فبها ونعمَت، وإلاّ فأنت مُدعٍ لك رتبة لا تُسلَّم لك أو تموت، فيقال لك: من أين أخذت علمكَ هذا؟ فإن كان عن الله ورسوله وما أظنُّ هؤلاء عدلوا عنه؛ وإن حظيت به أو جهلوه وأنت علمته، فقد قدّمنا لك من الآيات والأحاديث والآثار ما هو ردٌّ عليك، إذ يكفي ورود ذلك حجةً عليك، ودلالة ظاهرة للأمة المحمدية.

هذا مع قطع النظر عن إجماعهم، فإن ادعيت أنَّ الاجماع [معك]؛ فأتنا بدليلٍ واحدٍ، وقولٍ واحدٍ ممن خالف ما ذكرته من هؤلاء الأمّة.

فإن كنت تقول: إنَّ ابن تيمية خالف الإجماع، فيقال لك: قد تقدم أنَّ الشيخ ابن تيمية لم يُخَالِف في طلب الشفاعة منه ﷺ، بل قال في فُتياه:

وأمّا أن يطلب من النبي ﷺ ما هو اللائق بمنصبه، فالمنكر لهذا إمّا كافرٌ أو ضال. وقد قرر أنَّ الشفاعة من منصبه فطلبها وطلب غيرها مما يقدر عليها المخلوق جائز، وإنما حَرَّم ما لا يقدر عليه إلاّ الله، كغفران الذنوب وإنزال الغيث، وإنبات النبات، وهذا مع كونه لا يقصده مسلم، فقد قال الشيخ أنَّ الذي يقصده يُعذر إذا كان مجتهداً أو مُقلداً أو جاهلاً، أو له شبهةٌ أو غير ذلك مما قيده الشيخ في جميع كتبه.

ولو فرضنا أنَّ ابن تيمية قال كما تقول من أنه شركٌ مخرجٌ عن الملة. مع أنه لم يقلهُ والله أبداً، فلا يلزم الناس الأخذ بقوله وترك أقوال جميع العلماء من الأمّة، وترك الآيات والأحاديث الصحيحة الصريحة وأقوال السلف.

فقد قال هو وتلميذه ابن القيم: «من ألزم الناس بمذهبِ مُعيّنٍ أو بقول عالمٍ واحدٍ وترك غيره، يُستتاب، فإن تاب وإلاّ قُتِل».

وقال في «الفرقان»: «والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف، منهم من

إذا اعتقد بشخصٍ أنه وَليٌّ لله؛ وافقه في كلِّ ما يظن أنه حدّث به قلبه عن ربه، وسلّم له جميع ما يفعله، ومنهم من إذا رآه قد قال أو فعل ما ليس بموافق للشرع؛ أخرجه عن ولاية الله بالكلية وإن كان مجتهداً مخطئاً، وخير الأمور أوسطها، وهو أن لا يُجْعَل معصوماً ولا مأثوماً إذا كان مجتهداً مخطئاً، وإذا خالف الشخص قول بعض الفقهاء ووافق قول آخرين؛ لم يكن لأحدٍ أن يلزمهُ قول المخالف، ويقول: هو خالف الشرع». انتهى.

هذا، والمُشتكى إلى الله من زمانٍ صار أهله يروج عليهم قول مثل هذا الأعرابي الذي لا يعرف البناء من الإعراب، ولا يميّز بين القشر واللُّباب، وأعظم من ذلك أنه يَدّعي درجة الاجتهاد، وهو لم يتقن ألفاظ كتاب الله فضلاً عن معانيه، ولا يفهم عبارة الفقهاء الأكابر، ولا يطلع على أقوال الأئمة الأفاخر.

بل قُصارى أمره جموده على كلمات لبعض أسلافه كان مخموراً بحِجىٰ جهله وسُلافه. فكلامه عنده كوحي الكتاب، وحديثه هو الحديث المستطاب، فاتفق له أتباعٌ رَعَاعٌ يتبعون مثل هذا الناعق، فكُلٌّ لما يقوله يعتقد أنه للحق مطابقٌ، مع أنَّ كلامه لو حققته كهذيان ذي حمّى مُطبقة، واتباعه مثله فوافق شنٌّ طبقة.

وليس بعجب تكفير هذا الجاهل لصاحب «البردة»، فإنه كفّر الصحابة الكرام في قولهم: اجعل لنا ذات أنواط، وحكم عليهم بالرِّدة، إلاّ أنه اعتذر عنهم بأنَّ من تكلم بكلمة كفر ثم نُبِّه فتنبه، فكان التنبيه لكفرهم حائط، فكان العذر أعظم من الذنب، كمن غسل بالبول الغائط، فعياذاً بك اللهم من هذا الدّاء العُضال، وضَراعةً إليك من سبيل هؤلاء الطَّغام الجُهال.

اللهم ارزقنا حُبّك وحبَّ من يحبّك، وحُبَّ عملٍ يقرّبنا إلى حبّك،

ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك يا نِعْمَ المجيب وارحمنا بوسيلة حبيبك الأعظم ورسولك المفخم ﷺ، واجعلنا من المتبعين لسُنّته العاملين بسننه، وأخسأ الحاطّين من قدره بسفاسفهم الحابطين أعمالهم بالغضّ من مقامه الشريف من وساوسهم، فلا تُظْهِر اللهم لهم ظاهرة، وخيبهم إن لم يرجعوا عن ذلك في الدنيا والآخرة. فقطع دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين، واختم لنا بحسن الختام، آمين آمين آمين.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

(آخر ما ورد بالنسخة الخطية)

قد فرغ منها مؤلفها الشيخ الكامل، والنحرير الفاضل، العارف بالله، والدّالُّ عليه، الجامع بين الشريعة والحقيقة، مولانا السيد الشيخ داود أفندي النقشبندي الخالدي، أمدنا الله بإمداده، وأفاض علينا وعلى المسلمين فيض وِداده.

كان الفراغ من تصنيف هذه الرسالة على قوله ـ سلّمه الله تعالى ـ في اليوم العشرين خلت من شهر شوال المكرم، إحدى شهور سنة ألف ومئتين وتسعة وستين هجرية على مُهاجرها أفضل الصلاة وأكمل التحية.

وقد فرغت من نقلها في اليوم الرابع عشر خلت من شهر ربيع الثاني إحدى شهور سنة الألف ومئتين وثلاثة وتسعين هجرية في بلدة «أورنكباد» من مضافات سلطنة حيدر آباد الدكن من ألوكة الهندستان مع كثرة التشويش القلبي، والحزن على مفارقة الأوطان والإخوان، ولقد صدق الصادق المصدوق: «حبُّ الأوطان من الإيمان».

والله المسئول أن يرجعني لوطني سالماً غانماً فرحاً مسروراً، ويجمع شملي بعد هذا الفراق، إنه الكريم الرزاق.

وأنا الفقير إلى عِزّته المفتقر إلى رحمته جل جلاله السيد عبد الرزاق النقشبندي الخالدي البغدادي غفر الله له بمنه وكرمه. آمين.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

فهرست المراجع

- الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت.
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، للبيطار، مجمع اللغة العربية، دمشق.
- عمل اليوم والليلة لابن السني، دار القبلة، جدة.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي، مكتبة الحياة، بيروت.
- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، (بدون).
- مجموع الفتاوى لابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بالمدينة المنورة.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام لابن النعمان المراكشي، (مخطوط).
- معجم المطبوعات العربية لسركيس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- المنح المكية في شرح الهمزية لابن حجر الهيتمي، دار المنهاج، بيروت.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، للبغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

* * * * *

فهرست مصادر المؤلف

- ابن أبي شيبة = مصنف ابن أبي شيبة.
- الإقناع.
- إظهار صدق المودة في شرح البردة = شرح ابن مرزوق
- الاستيعاب لما في البردة من المعاني والبيان والبديع والإعراب = شرح ابن مرزوق.
- الانتصار لتقي الدين ابن تيمية.
- إمداد الفتاح شرح نور الإيضاح للشرنبلالي.
- اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية.
- الأذكار النووية.
- الاختيار لعلاء الدين الجمالي = شرح المختار.
- الأنوار المضية في مدح خير البرية = تعليق لطيف = شرح الجلال المحلي للبردة.
- إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون للحلبي = السيرة الحلبية.
- البردة = الكواكب الدرية في مدح خير البرية للبوصيري.
- البدعة لابن القيم.
- البيان والانتصار أبو سليمان داود المالكي.
- تسبيع البردة = الكواكب الدرية تسبيع البردة البوصيرية في مدح خير البرية للبيضاوي.
- تعليق لطيف على بردة المديح = شرح الجلال المحلي للبردة.
- تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل.
- تفسير البغوي = معالم التنزيل.
- تلخيص المستدرك للذهبي.
- تاريخ ابن عساكر = تاريخ دمشق.

- توثيق عُرَىٰ الإيمان بتفضيل حبيب الرحمن للبارزي الحموي.
- تاريخ حلب = بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم.
- تاريخ ابن جرير = تاريخ الأمم والملوك.
- تاريخ ابن الأثير = الكامل في التاريخ.
- تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة للمراغي.
- الجامع الصحيح للترمذي.
- الجامع الصحيح للبخاري.
- الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير للسيوطي.
- الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف المكرم لابن حجر الهيتمي.
- حاشية مشكاة المصابيح للطيبي.
- حاشية المدابغي على شرح الأربعين النووية لابن حجر الهيتمي.
- حاشية الإيضاح لابن حجر الهيتمي.
- حاشية الزاد للعتيلي.
- الحصن الحصين للجزري.
- خواص البردة للمراكشي.
- خلاصة الوفا للسمهودي.
- دلائل النبوة للبيهقي.
- الدارمي = سنن الدارمي.
- الدرة المضية في الزيارة المصطفوية لمنلا علي القاري.
- الدلائل الواضحات في إثبات الكرامات في الحياة وبعد الممات للبرماوي.
- الروح لابن القيم.
- الرعاية الكبرى لابن حمدان.
- الرعايتين للحنبلي.
- ريحانة الألباب للخفاجي.
- زاد المستقنع.
- الزبدة الرائقة في شرح البردة الفائقة لزكريا الأنصاري.

- الزبدة في شرح قصيدة البردة للأزهري.
- السيرة لابن إسحاق.
- السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون للبرهاني الحلبي.
- سنن الترمذي = الجامع الصحيح.
- سنن الدارمي.
- سنن النسائي.
- السيوف الصقال للمقدسي.
- شرح ابن مرزوق للبردة (الكبير) = إظهار صدق المودة في شرح البردة.
- شرح ابن مرزوق للبردة (الصغير) = الاستيعاب لما في البردة من المعاني والبيان والبديع والإعراب.
- شرح الجلال المحلي للبردة = تعليق لطيف على بردة المديح.
- شرح زكريا الأنصاري للبردة = الزبدة الفائقة في شرح البردة الفائقة.
- شرح القسطلاني للبردة = مشارق الأنوار المضية في شرح الكواكب الدرية.
- شرح السعد التفتازاني للبردة.
- شرح خالد الأزهري = الزبدة في شرح قصيدة البردة.
- شرح شيخ زاده للبردة.
- شرح العبريني للبردة.
- شرح الخادمي للبردة = نشر الكواكب الدرية.
- شرح خواص البردة للمراكشي = خواص البردة.
- شرح الأربعين النووية لابن رجب.
- شرح مسلم للنووي.
- شرح مسلم للقاضي عياض.
- شرح المشكاة لمنلا علي القاري = مرقاة لمفاتيح شرح مشكاة المصابيح.
- شرح الإقناع.
- شرح الجامع الصغير (الكبير) للمناوي = فيض القدير.
- شرح الشفا للخفاجي = نسيم الرياض.

- شرح مختصر صحيح البخاري لابن أبي جمرة.
- شرح مختصر البخاري للأجهوري.
- شرح الحصين الحصين للمنلا علي القاري.
- شرح الصدور بأحوال أهل القبور للسيوطي.
- شرح المختار = الاختيار.
- شرح المهذب = المجموع شرح المهذب للنووي.
- شرح المنهاج للشوبري.
- شرح العزية للفيشي.
- شرح الهمزية = المنح الملكية في شرح الهمزية لابن حجر الهيتمي.
- الشرح الكبير لابن قدامة المقدسي.
- شفاء السقام بزيارة خير الأنام للسبكي.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ للقاضي عياض.
- شذرات الذهب للحنبلي.
- شعب الإيمان للبيهقي.
- صحيح البخاري = الجامع الصحيح.
- صحيح مسلم.
- صحيح ابن عوانة.
- الصارم المنكي في الرد على السبكي لابن عبد الهادي.
- صفة الصفوة لابن الجوزي.
- العدة في كل شدة لأبي البقاء الحنفي.
- طبقات الحنابلة لابن رجب.
- الغنية للجيلاني.
- الفتاوى الخيرية للرملي.
- الفتاوى لابن تيمية = مجموع الفتاوى.
- فتاوى النووي.
- الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن لابن تيمية.

- الفروع لابن مفلح الحنبلي.
- القاموس المحيط للفيروزأبادي.
- كشف الشبهات لمحمد بن عبدالوهاب.
- الكلم الطيب لابن تيمية.
- الكلم الطيب لابن القيم.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري.
- المدخل لابن الحاج.
- مختصر خليل.
- المبدع شرح زاد المستقنع.
- مثير الغرام الساكن لابن الجوزي.
- مسند الإمام أحمد.
- مسند البزار = البحر الزخار.
- المستوعب للسامري.
- المستقصى في فضائل المسجد الأقصى للسيوطي.
- المستدرك للحاكم.
- مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام لابن النعمان.
- مصنف ابن أبي شيبة.
- مشكاة المصابيح للتبريزي.
- معتقد الإمام أبي عبدالله.
- معيد النعم ومبيد النقم للسبكي.
- معجم الدمياطي.
- معجم الطبراني.
- المغني لابن قدامة المقدسي.
- مغني ذوي الأفهام لابن عبدالهادي الحنبلي.
- منسك الإمام أحمد.
- منسك الشيخ سليمان بن علي.

- منسك الطرابلسي.
- منسك الكرماني.
- منسك الفارسي.
- منسك خليل المالكي.
- مناسك النووي.
- مناسك المناوي.
- مناسك ابن حجر الهيتمي.
- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني.
- نور الإيضاح للشرنبلالي.
- نفحات القرب والاتصال للحموي.
- الهمزية = أم القرى للبوصيري.
- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ للسمهودي.
- الوفا في فضائل المصطفى ﷺ لابن الجوزي.

* * * * *

قَصِيدَةُ البُرْدَة

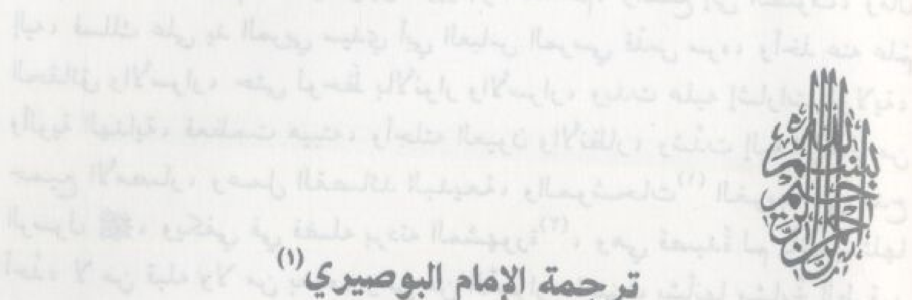
للإمام أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري

المتوفى ٦٩٤هـ سنة

قَصِيدَةُ البُرْدَة

للإمام أبي عبد الله محمد بن سعيد البُوصيري

المتوفّى سنة ٦٩٤هـ



ترجمة الإمام البوصيري (١)

(٦٠٨هـ - ٦٩٤هـ)

هو الإمام الرباني، والعارف الصمداني، الأستاذ الفاضل، والملاذُ الكامل، شمس الملة وبرهان الأمة، شيخ المحققين، وملاذ أهل التمكين، ذو المعارف الربانية، والمواهب الصمدانية أبو عبد الله شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الدّلاصي الصُنهاجي الشاذلي البُوصيري قدّس سره.

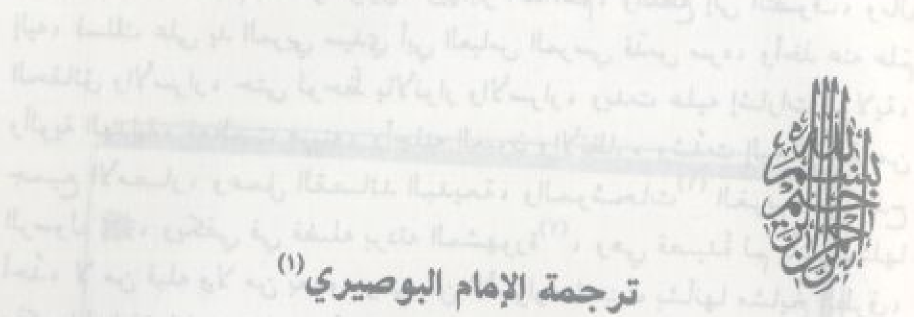
ولد رضي الله عنه بدَلاص (٢) أول شهر شوال سنة ثمانٍ وست مئة، وكان أبواه قدما من المغرب فاستوطنا هذه البلدة، فنشأ رضي الله عنه في حِجر أبيه حتى ترعرع ومال إلى العلم، فحفظ القرآن وبعض المتون، وقدمَ الأزهر، وحضر على مشايخ العصر حتى كملت معالمه، فأجازوه فأتى ودرّس، وصارت له هيبةٌ عظيمة، وبرع في النظم حتى فاق أهلَ عصره، وكانت له همّةٌ عالية.

وكان في بدايته من مقربات السلاطين، وله عندهم الحظوة التامة مقبولاً فيما

---

(١) هذه الترجمة مقتبسة من كتاب طبقات الشاذلية الكبرى لأبي علي الكوهن النحاس - (ص ٧٩ ـ ٨١) طبعة دار الكتب العلمية. وانظر ترجمته في الأعلام ٦/ ١٣٩ وفيه وفاته سنة ٦٩٦، وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص ١٩١، فوات الوفيات ٢/ ٢٠٥، وآداب اللغة ٣/ ١٢٠.

(٢) في الأعلام ٦/ ١٣٩: مولده في بهشيم من أعمال البهنساوية.
دَلاصُ: كورة بصعيد مصر على غربي النيل أخذت من البر تشتمل على قرى وولاية واسعة، ودلاص مدينتها معدودة في كورة البهنسا. (معجم البلدان ٢/ ٤٥٩).



ترجمة الإمام البوصيري[1]

(٦٠٨هـ - ٦٩٤هـ)

هو الإمام الرباني، والعارف الصمداني، الأستاذ الفاضل، والملاذُ الكامل، شمس الملة وبرهان الأمة، شيخ المحققين، وملاذ أهل التمكين، ذو المعارف الربانية، والمواهب الصمدانية أبو عبد الله شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الدَّلاصي الصُّنهاجي الشاذلي البُوصيري قدّس سره.

ولد رضي الله عنه بدَلاص [2] أول شهر شوال سنة ثمانٍ وست مئة، وكان أبواه قدما من المغرب فاستوطنا هذه البلدة، فنشأ رضي الله عنه في حِجر أبيه حتى ترعرع ومال إلى العلم، فحفظ القرآن وبعض المتون، وقدم الأزهر، وحضر على مشايخ العصر حتى كملت معالمه، فأجازوه فأفتى ودرّس، وصارت له هيبةٌ عظيمة، وبرع في النظم حتى فاق أهل عصره، وكانت له همّةٌ عالية.

وكان في بدايته من مقربات السلاطين، وله عندهم الحظوة التامة مقبولاً فيما

(١) هذه الترجمة مقتبسة من كتاب طبقات الشاذلية الكبرى لأبي علي الكوهن النحاس - (ص ٧٩ - ٨١) طبعة دار الكتب العلمية. وانظر ترجمته في الأعلام ٦/١٣٩ وفيه وفاته سنة ٦٩٦، وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص ١٩١، فوات الوفيات ٢/٢٠٥، وآداب اللغة ٣/١٢٠.

(٢) في الأعلام ٦/١٣٩: مولده في بهشيم من أعمال البهنساوية.
دَلاصُ: كورة بصعيد مصر على غربي النيل أخذت من البر تشتمل على قرى وولاية واسعة، ودلاص مدينتها معدودة في كورة البهنسا. (معجم البلدان ٢/٤٥٩).

بينهم، وكان يمدحهم بالشعر الرقيق، ويهجو أعداءهم، وانقطع إلى التصوف، ومال إليه، فسلك على يد المربي سيدي أبي العباس المرسي قدّس سره، وأخذ عنه علمَ الحقائق والأسرار، حتى لوحظَ بالأنوار والأسرار، وبدت عليه إشارات الولاية، وألوية الهداية، فعظمت هيبته، وأجلته العيون والأنظار، وشدّت إليه الرّحالُ من جميع الأمصار، وعمل القصائد البديعة، والموشحات[1] الغريبة في مدح الرسول ﷺ، ويكفي في فضله بردته المشهورة[2]، وهي قصيدةٌ لم يأتِ بمثلها أحدٌ، لا من قبله ولا من بعده، وهي من الأسرار، اعتنتْ بشأنها مشايخُ الطرق، وذكروا لها فضائل وخواص وأسرار، وقد ذكرنا ما لها من الخواص والأسرار في كتابٍ مستقلٍ، سميناه «تحفة الراغبين ونزهة الطالبين في خواص قصيدة الأستاذ شرف الدين» فمن أراده فليطلبه حيث يوجد.

بلغ رضي الله عنه مقام الغوثية الكبرى، ودام له الاجتماع بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام.

وكان إذا مشى رضي الله عنه في الأزقة تندلقُ الناسُ عليه، يقبّلون يديه حتى الصغار، وكانت تشم رائحة جسده روائح طيبة.

وكان رضي الله عنه يرتدي الملابس الحسناء، منوّر الشيبة، بسّام الثغر، طلق الوجه، جميل اللقاء، متواضعاً زاهداً، ذا عفّة ووقار.

أخذ عنه جماعةٌ من أفاضل العصر.

توفي رضي الله عنه وأرضاه بإسكندرية سنة أربع وتسعين وست مئة.

وله مقام يُزار، ويسجد تُقام فيه شعائر أمة المختار، وتتساقط على ضريحه أنوار وأسرار تبدو للزائرين، والمتوسّل به إلى الله لا شك من الناجين، اللهم، نتوسّلُ إليك أن تعطفَ علينا قلب مولانا رسول الله ﷺ. آمين.

(١) الموشحات: نوع من الشعر استحدثه الأندلسيون، وهي نظم غنائي يعتمد على تغيّر الوزن وتعدد القافية.

(٢) أشهر شعره البردة، ومطلعها:
«أمِـن تـذكُـرِ جـيـرانٍ بـذي سـلـمٍ»
(الأعلام ٦/١٣٩).

بينهم، وكان يمدحهم بالشعر الرقيق، ويهجو أعداءهم، وانقطع إلى التصوف، ومال إليه، فسلك على يد المربي سيدي أبي العباس المرسي قدّس سره، وأخذ عنه علمَ الحقائق والأسرار، حتى لوحظَ بالأنوار والأسرار، وبدت عليه إشارات الولاية، وألوية الهداية، فعظمت هيبته، وأجلته العيون والأنظار، وشدّت إليه الرِّحالُ من جميع الأمصار، وعمل القصائد البديعة، والموشحات[1] الغريبة في مدح الرسول ﷺ، ويكفي في فضله بردته المشهورة[2]، وهي قصيدةٌ لم يأتِ بمثلها أحدٌ، لا من قبله ولا من بعده، وهي من الأسرار، اعتنتْ بشأنها مشايخُ الطرق، وذكروا لها فضائل وخواص وأسرار، وقد ذكرنا ما لها من الخواص والأسرار في كتابٍ مستقلٍ، سميناه «تحفة الراغبين ونزهة الطالبين في خواص قصيدة الأستاذ شرف الدين» فمن أراده فليطلبه حيث يوجد.

بلغ رضي الله عنه مقام الغوثية الكبرى، ودام له الاجتماع بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام.

وكان إذا مشى رضي الله عنه في الأزقة تندلقُ الناسُ عليه، يقبّلون يديه حتى الصغار، وكانت تشم رائحة جسده روائح طيبة.

وكان رضي الله عنه يرتدي الملابس الحسناء، منوّر الشيبة، بسّام الثغر، طلق الوجه، جميل اللقاء، متواضعاً زاهداً، ذا عفّة ووقار.

أخذ عنه جماعةٌ من أفاضل العصر.

توفي رضي الله عنه وأرضاه بإسكندرية سنة أربع وتسعين وست مئة.

وله مقام يُزار، ويسجد تُقام فيه شعائر أمة المختار، وتتساقط على ضريحه أنوار وأسرار تبدو للزائرين، والمتوسِّل به إلى الله لا شك من الناجين، اللهم، نتوسَّلُ إليك أن تعطفَ علينا قلب مولانا رسول الله ﷺ. آمين.

---

(١) الموشحات: نوع من الشعر استحدثه الأندلسيون، وهي نظم غنائي يعتمد على تغيّر الوزن وتعدد القافية.

(٢) أشهر شعره البردة، ومطلعها:

«أمِــن تــذكُّــر جــيـران بــذي ســلــم»

(الأعلام ٦/ ١٣٩).

الحمدُ لِلَّهِ مُنشِىءِ الخَلْقِ مِن عَدَمِ
ثم الصلاةُ على المختارِ في القِدَمِ

مَولايَ صَلِّي وسَلِّمْ دائماً أبداً
على حبيبِكَ خيرِ الخلقِ كلِّهِمِ

ألحمدُ لِلّهِ مُنشِىءِ الخَلْقِ مِن عَدَمِ
ثم الصلاةُ على المختارِ في القِدَمِ

مَولايَ صَلّي وسلّمْ دائماً أبداً
على حبيبِكَ خيرِ الخلقِ كلِّهِمِ

الفصل الأوّل

في الغَزَل وشكوى الغرام

أمِنْ تذكُّر جيرانٍ بِذي سَلَمِ
مزجْتَ دمعاً جرىٰ من مُقْلَةٍ بِدَمِ

أمْ هبَّتِ الرِّيحُ من تِلْقاء كاظمةٍ
وأوْمَضَ البَرْقُ في الظُّلْماء من إضَمِ

فما لعينَيْك إن قُلتَ اكْفُفا هَمَتا
وما لِقَلْبِك إن قلتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

أيحسَب الصَّبُّ أنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ
ما بين مُنسَجِمٍ منه ومُضْطَرِمِ

لولا الهوىٰ لم تُرِقْ دمعاً على طَلَلٍ
ولا أرِقْتَ لِذِكْرِ البَانِ والعَلَمِ

فكيف تُنكِرُ حُبًّا بعدما شَهِدَتْ
به عليك عُدولُ الدمعِ والسَّقَمِ

وأثبتَ الوَجْد خطَّيْ عَبرَةٍ وضنًى
مِثْلَ البَهارِ على خَدَّيْكَ والعَنَمِ

الفصل الأوّل
في الغَزَل وشكوى الغرام

أمِنْ تـذكُّـرِ جيـرانٍ بِـذي سَـلَـمِ
مزجْتَ دمعاً جرىٰ من مُقلَةٍ بِدَمِ

أمْ هبَّتِ الرِّيحُ من تِلْقاءِ كاظمةٍ
وأوْمَضَ البَرْقُ في الظَّلْماءِ من إضَمِ

فما لعينَيْك إن قُلْتَ اكْفُفا هَمَتَا
وما لِقَلْبِك إن قلتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

أيحسَبُ الصَّبُّ أنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ
ما بين مُنسَجِمٍ منه ومُضْطَرِمِ

لولا الهوىٰ لم تُرِقْ دمعاً على طَلَلٍ
ولا أرِقْتَ لِذِكْرِ البَانِ والعَلَمِ

فكيف تُنكِرُ حُبًّا بعدما شَهِدَتْ
به عليك عُدولُ الدمعِ والسَّقَمِ

وأثبَتَ الوَجْدُ خطَّيْ عَبرةٍ وضنًى
مِثْلَ البَهارِ على خَدَّيْك والعَنَمِ

نعم سَرىٰ طيفُ مَن أهْوىٰ فأرَّقَني
والحُبُّ يعتَرِضُ اللَّذَّاتِ بالألَمِ

يا لائمي في الهَوىٰ العُذريِّ مَعذِرةً
مِنّي إليك ولو أنْصَفتَ لَمْ تَلُمِ

عَدَتْكَ حاليَ لا سِرِّي بِمُستَتِرٍ
عن الوُشاةِ ولا دائي بِمُنْحَسِمِ

مَحَضْتَني النُّصحَ لكنْ لستُ أسْمَعُهُ
إنَّ المُحِبَّ عن العُذّالِ في صَمَمِ

إنّي اتَّهمتُ نَصيحَ الشَّيبِ في عَذَلي
والشَّيبُ أبعدُ في نُصحٍ عن التُّهَمِ

نَعم سَرىٰ طيفُ مَن أهْوىٰ فأرّقني
والحُبُّ يعترِضُ اللّذاتِ بالألمِ

يا لائمي في الهَوىٰ العُذريّ مَعذرةً
مِنّي إليك ولوْ أنصفتَ لَمْ تَلُمِ

عَدَتْكَ حاليَ لا سِرّي بمُستترٍ
عن الوُشاةِ ولا دائي بِمُنْحَسِمِ

مَحضْتَني النُّصحَ لكنْ لستُ أسمَعُهُ
إنّ المُحِبّ عن العُذّال في صَمَمِ

إنّي اتّهمتُ نَصيحَ الشّيبِ في عَذَلي
والشّيبُ أبعدُ في نُصحٍ عن التُّهَمِ

الفصل الثاني

في التحذير من هوى النّفس

فإنّ أمارتي بالسُّوء ما اتّعظَتْ
من جَهْلها بنذير الشّيبِ والهَرَمِ

ولا أعدّتْ من الفِعْل الجميل قِرىٰ
ضيفٍ ألَمّ بِرأسي غيرَ مُحتشِمِ

لو كنتُ أعلَمُ أنّي ما أوَقّرُهُ
كتمتُ سرّاً بدا لي منه بالكَتَمِ

مَنْ لي بِرَدّ جِماحٍ مِن غوايَتِها
كما يُرَدُّ جِماحُ الخَيلِ باللُّجُمِ

فلا تَرُمْ بالمعاصي كَسْر شَهْوَتها
إنّ الطّعامَ يُقوّي شَهْوَةَ النّهِمِ

والنّفسُ كالطّفل إنْ تُهمِلْه شَبّ على
حبّ الرّضاعِ وإنْ تفطِمْه يَنفَطِمِ

فاصْرِفْ هَواها وحاذِرْ أنْ تُوَلّيَهُ
إنّ الهَوىٰ ما تَوَلّىٰ يُصْمِ أو يَصِمِ

الفصل الثاني

في التحذير من هوى النّفس

فإنَّ أمارتي بالسُّوءِ ما اتَّعظَتْ

من جَهلِها بنذيرِ الشَّيبِ والهَرَمِ

ولا أعدَّتْ من الفِعلِ الجميلِ قِرَى

ضيفٍ ألَمَّ برأسي غيرَ مُحتَشِمِ

لو كنتُ أعلَمُ أنّي ما أُوَقِّرُهُ

كتمتُ سِرّاً بدا لي منه بالكَتَمِ

مَنْ لي بِرَدِّ جِماحٍ مِن غَوايَتِها

كما يُرَدُّ جِماحُ الخَيلِ باللُّجُمِ

فلا تَرُمْ بالمعاصي كَسْرَ شَهوَتِها

إنَّ الطَّعامَ يُقَوّي شَهوَةَ النَّهِمِ

والنَّفسُ كالطِّفلِ إنْ تُهمِلْه شَبَّ على

حبِّ الرَّضاعِ وإنْ تفطِمْه يَنفَطِمِ

فاصْرِفْ هَواها وحاذِرْ أنْ تُوَلِّيَهُ

إنَّ الهوَى ما تَوَلَّى يُصْمِ أو يَصِمِ

وراعِها وهيَ في الأعمالِ سائِمةٌ

وإنْ هيَ استَحلَتِ المرعَى فلا تُسِمِ

كم حسَّنَتْ لذَّةً لِلمرءِ قاتِلةً

مِن حيثُ لم يدرِ أنَّ السُّمَّ في الدَّسَمِ

واخْشَ الدَّسائِسَ من جُوعٍ ومِن شِبَعٍ

فَرُبَّ مَخمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ

واستَفرِغِ الدَّمعَ من عَيْنٍ قدِ امتَلأتْ

مِنَ المَحارمِ والزَمْ حِميَةَ النَّدَمِ

وخالِفِ النَّفسَ والشَّيطانَ واعْصِهِما

وإنْ هُما مَحَّضاكَ النُّصحَ فاتَّهِمِ

ولا تُطِعْ منهما خصماً ولا حَكَماً

فأنتَ تعرِفُ كَيْدَ الخَصْمِ والحَكَمِ

أستغفِرُ اللّه من قولٍ بلا عمَلٍ

لقد نَسَبتُ به نَسلاً لِذِي عُقُمِ

أمرتُكَ الخيرَ لكن ما ائتَمرتُ به

وما استَقَمتُ فما قَولي لكَ استَقِمِ

ولا تَزَوَّدتُ قبلَ الموتِ نافِلَةً

ولم أُصَلِّ سِوَى فرضٍ ولم أَصُمِ

وراعِهَا وهيَ في الأعمالِ سائِمةٌ
وإنْ هيَ اْستحلَتِ المرعىٰ فلا تُسِمِ

كم حسَّنتْ لذَّةً لِلْمرءِ قاتِلةً
مِن حيثُ لم يدرِ أنَّ السُّمَّ في الدَّسَمِ

واَخْشَ الدَّسائِسَ من جُوعٍ ومِن شِبَعٍ
فرُبَّ مَخمصَةٍ شرٌّ مِنَ التُّخَمِ

واستفرِغِ الدَّمعَ من عَينٍ قد اْمتلأَتْ
مِنَ الْمَحارمِ والْزَمْ حِمْيةَ النَّدَمِ

وخالِفِ النَّفسَ والشَّيطانَ واَعْصِهما
وإنْ هُما مَحَضاكَ النُّصحَ فاتَّهِمِ

ولا تُطِعْ منهما خصْماً ولا حَكَماً
فأنتَ تعرِفُ كَيْدَ الخَصْمِ والحَكَمِ

أستغفِرُ اللّهَ من قولٍ بلا عملٍ
لقد نَسَبتُ به نَسْلاً لِذِي عُقُمِ

أمَرتُكَ الخيرَ لكن ما اْئتمرتُ به
وما اْستقمتُ فما قولي لكَ اْستَقِمِ

ولا تَزَوَّدتُ قبلَ الموتِ نافِلةً
ولم أُصلِّ سِوىٰ فرضٍ ولم أصُمِ

الفصل الثالث

في مدح النَّبي ﷺ

ظلَمتُ سُنَّةَ مَن أحيا الظَّلامَ إلىٰ
أنِ اْشتكَتْ قدَماهُ الضُّرَّ من وَرَمِ

وشدَّ من سغَبٍ أحشاءَه وطوىٰ
تحتَ الحِجارةِ كَشحاً مُترَفَ الأَدَمِ

وراوَدتْهُ الجبالُ الشُّمُّ من ذهبٍ
عن نفسِهِ فأراها أيَّما شَمَمِ

وأكَّدَتْ زُهدَهُ فيها ضرورتُهُ
إنَّ الضَّرورةَ لا تَعْدو على العِصَمِ

وكيفَ تَدعو إلى الدُّنيا ضرورةُ مَنْ
لولاهُ لم تُخرَجِ الدُّنيا من العَدَمِ

محمَّدٌ سيِّدُ الكَونَيْنِ والثَّقلَيْـ
ـنِ والفريقَيْنِ من عُربٍ ومن عَجَمِ

الفصل الثالث
في مدح النّبي ﷺ

ظلَمتُ سُنّةَ من أحيا الظّلامَ إلى
أنِ اشتكتْ قدماهُ الضُّرَّ من وَرَمِ

وشدَّ من سغَبٍ أحشاءه وطَوَى
تحتَ الحجارةِ كشحاً مُترفَ الأدَمِ

وراودتْه الجبالُ الشُّمُّ من ذهبٍ
عن نفسِه فأراها أيّما شَمَمِ

وأكّدتْ زهدَه فيها ضرورتُه
إنّ الضّرورةَ لا تعدو على العِصَمِ

وكيفَ تدعو إلى الدُّنيا ضرورةُ مَنْ
لولاهُ لم تُخرجِ الدُّنيا من العَدَمِ

محمّدٌ سيّدُ الكونينِ والثّقليـ
ـنِ والفريقينِ من عُربٍ ومن عَجَمِ

نبيُّنا الآمرُ النّاهي فلا أحدٌ
أبرُّ في قولِ لا منهُ ولا نَعَمِ

هو الحبيبُ الّذي تُرجى شفاعتُه
لكلّ هولٍ من الأهوالِ مُقتحَمِ

دعا إلى اللّهِ فالمستمسكونَ به
مستمسكونَ بحبلٍ غيرِ مُنفصِمِ

فاقَ النّبيّينَ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ
ولم يُدانوه في عِلمٍ ولا كَرَمِ

وكلُّهم من رسولِ اللّهِ مُلتمِسٌ
غَرفاً من البحرِ أو رَشفاً من الدِّيَمِ

وواقفونَ لديه عند حَدِّهمِ
من نُقطةِ العِلمِ أو من شَكلةِ الحِكَمِ

فهْوَ الّذي تمَّ معناهُ وصورتُه
ثمّ اصطفاهُ حبيباً بارئُ النَّسَمِ

مُنزَّهٌ عن شريكٍ في محاسنه
فجوهرُ الحُسنِ فيه غيرُ منقسِمِ

دَعْ ما ادَّعتْه النّصارى في نبيِّهمِ
واحكُمْ بما شئتَ مدحاً فيه واحتكِمِ

نَبيُّنا الآمرُ النّاهي فلا أحدٌ
أبَرُّ في قولِ لا منهُ ولا نَعَمِ

هو الحَبيبُ الّذي تُرجى شفاعتُه
لكلِّ هَولٍ من الأهوالِ مُقتحَمِ

دعا إلى اللهِ فالمستمسكون به
مُستمسِكون بحبلٍ غيرِ مُنفصِمِ

فَاقَ النّبيّينَ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ
ولم يُدانوه في عِلمٍ ولا كَرَمِ

وكلُّهم من رسولِ اللهِ مُلتمِسٌ
غَرفاً من البَحرِ أوْ رَشفاً من الدِّيَمِ

وواقفونَ لدَيه عند حَدِّهِمِ
من نُقطةِ العِلمِ أو من شَكْلةِ الحِكَمِ

فهوَ الّذي تَمَّ معناهُ وصورتُه
ثُمَّ اصطفاهُ حبيباً بارِئُ النَّسَمِ

مُنزَّهٌ عن شريكٍ في محاسِنِه
فَجوهرُ الحُسنِ فيه غيرُ مُنقسِمِ

دَعْ ما ادّعتْه النّصارىٰ في نبيِّهِمِ
واحكُمْ بما شئتَ مَدحاً فيه واحتكِمِ

وانسُبْ(1) إلىٰ ذاتِه ما شئتَ من شَرفٍ
وانسُبْ إلىٰ قَدرِه ما شئتَ من عِظَمِ

فإنَّ فَضلَ رسولِ اللهِ ليس له
حدٌّ فيُعرِبُ عنه ناطقٌ بفَمِ

لو ناسَبَت قَدرَه آياتُه عِظَماً
أحيا اسمُه حينَ يُدعىٰ دارِسَ الرِّمَمِ

لم يَمتحِنّا بما تَعيا العُقولُ به
حِرصاً علينا فلم نَرتَبْ ولم نَهِمِ

أعيا الوَرىٰ فَهمُ مَعناهُ فليس يُرىٰ
في القُربِ والبُعدِ فيه غيرُ مُنفحِمِ

كالشّمسِ تَظهرُ للعينَينِ من بُعُدٍ
صغيرةً وتُكِلُّ الطّرفَ من أَمَمِ

وكيف يُدرِكُ في الدُّنيا حقيقتَه
قومٌ نِيامٌ تَسلَّوا عنه بالحُلُمِ

فمبلَغُ العلمِ فيه أنّه بَشرٌ
وأنّه خيرُ خلقِ اللهِ كلِّهِمِ

(1) في نسخة أخرى: «فانسب».

وأنـسـبْ(١) إلىٰ ذاتِـه مـا شِـئـتَ من شَـرفٍ
وانْـسُـب إلـىٰ قَـدْره مـا شِـئـتَ مـن عِـظَـمِ

فـإنَّ فَـضـلَ رسـول الـلَّـه لـيـس لـه
حـدٌّ فـيُـعْـرِبُ عـنـه نـاطـقٌ بـفَـمِ

لـو نـاسَـبَـت قَـدرَه آيـاتُـه عِـظَـمـاً
أحْيا اسْمُه حينَ يُدْعىٰ دارسَ الرِّمَمِ

لـم يَـمـتَـحِـنّـا بـمـا تَـعـيـا الـعُـقـولُ بـه
حِـرصـاً عـلـيـنـا فـلـم نَـرْتَـبْ ولـم نَـهِـمِ

أعْـيـا الـوَرَىٰ فَـهْـمُ مَـعْـنـاهُ فـلَـيـسَ يُـرَىٰ
فـي الـقُـرْبِ والـبُـعْـدِ فـيـه غـيـرُ مُـنـفَـحِـمِ

كـالـشَّـمـس تَـظْـهَـر لـلـعـيـنَـيْـنِ مـن بُـعُـدٍ
صَـغـيـرةً وتُـكِـلُّ الـطَّـرْف مـن أَمَـمِ

وكـيـف يُـدرك فـي الـدُّنـيـا حـقـيـقـتَـه
قَـومٌ نِـيـام تَـسـلَّـوْا عـنـه بـالـحُـلُـمِ

فـمَـبْـلَـغُ الـعـلـم فـيـه أنَّـه بَـشَـرٌ
وأنَّـه خـيـرُ خَـلْـقِ الـلَّـهِ كُـلِّـهِـمِ

(١) في نسخة أخرى: «فانسب».

وكـلُّ آيٍ أتـى الـرُّسُـلُ الـكِـرامُ بـهـا
فـإنَّـمـا اتَّـصـلَـت مـن نـورِه بِـهِـم

فـإنَّـه شـمـسُ فَـضـلٍ هُـم كـواكِـبُـهـا
يُـظـهِـرنَ أنـوارَهـا لـلـنَّـاس فـي الـظُّـلَـمِ

أكـرِمْ بِـخَـلْـقِ نـبـيٍّ زانَـه خُـلُـقٌ
بـالـحُـسـن مُـشـتَـمِـلٍ بـالـبِـشْـرِ مـتَّـسِـمِ

كـالـزَّهـر فـي تَـرَفٍ والـبـدرِ فـي شَـرفٍ
والـبـحـرِ فـي كـرَمٍ والـدَّهـرِ فـي هِـمَـمِ

كـأنَّـه وَهْـوَ فَـردٌ مِـن جَـلالَـتِـه
فـي عَـسْـكَـرٍ حـيـنَ تَـلْـقـاهُ وفـي حَـشَـمِ

كـأنَّـمـا الـلُّـؤلُـؤُ الـمَـكْـنـونُ فـي صَـدَفٍ
مـن مَـعْـدِنَـيْ مَـنْـطِـقٍ مـنـه ومُـبـتَـسِـمِ

لا طِـيـبَ يَـعْـدِلُ تُـرْبـاً ضَـمَّ أعـظُـمَـهُ
طُـوبَـىٰ لِـمُـنْـتَـشِـقٍ مـنـه ومُـلْـتَـثِـمِ

وكلُّ آيٍ أتى الرُّسلُ الكِرامُ بهَا
فإنَّما اتَّصلَت من نورِهِ بِهِم

فإنَّه شمسُ فَضلٍ هُم كوَاكِبُهَا
يُظهِرْنَ أنوَارَها للنَّاس في الظُّلَم

أكرِمْ بِخَلْقِ نبيٍّ زَانَه خُلُقٌ
بالحُسن مُشتَمِلٍ بالبِشرِ متَّسِم

كالزَّهر في تَرفٍ والبَدْرِ في شرفٍ
والبحر في كرَمٍ والدَّهرِ في هِمَمِ

كأنَّهُ وَهوَ فَردٌ مِنْ جَلالَتِه
في عَسْكَرٍ حينَ تَلْقاهُ وفي حَشَم

كأنَّما اللُّؤلؤُ المكنُونُ في صَدَفٍ
من مَعْدِنَيْ مَنطِقٍ منه ومُبتَسِم

لا طِيبَ يَعْدِلُ تُرْباً ضَمَّ أعظُمَهُ
طُوبَى لمُنتَشِقٍ منه ومُلتَثِم

الفصل الرّابع
في مولده ﷺ

أبانَ مَولِدُهُ عن طِيبِ عُنصُرِه
يا طِيبَ مُبتَدإٍ منه ومُختَتَم

يَومٌ تَفَرَّسَ فيه الفُرسُ أنَّهمُ
قد أُنذِروا بحُلولِ البُؤسِ والنِّقَم

وباتَ إيوانُ كِسرى وهوَ مُنصَدِعٌ
كشَملِ أصحابِ كسرى غيرَ مُلتَئِم

والنّارُ خامدةُ الأنفاسِ من أسَفٍ
علَيهِ والنّهرُ ساهي العَينِ من سَدَم

وساءَ ساوَةَ أنْ غاضَت بُحَيرَتُها
وَرُدَّ وارِدُها بالغَيْظِ حِينَ ظَمِي

كأنَّ بالنّارِ ما بالماءِ من بَلَلٍ
حُزناً وبالماءِ ما بالنّارِ من ضَرَم

والجِنُّ تَهتِفُ والأنوارُ ساطِعةٌ
والحقُّ يَظهَرُ من معنى ومن كَلِمِ

الفصل الرّابع
في مولده ﷺ

أَبانَ مَولِدُهُ عن طِيبِ عُنْصُرِهِ
يا طِيبَ مُبتَدإٍ منه ومُختَتَمِ

يَومٌ تَفَرَّسَ فيه الفُرسُ أنّهمُ
قد أُنذِروا بحُلولِ البُؤسِ والنِّقَمِ

وباتَ إيوانُ كِسرى وهوَ مُنصَدِعٌ
كشَملِ أصحابِ كِسرى غيرَ مُلتَئِمِ

والنّارُ خامدةُ الأنفاسِ من أسَفٍ
عليه والنّهرُ ساهي العَينِ من سَدَمِ

وساءَ ساوَةَ أنْ غاضَتْ بُحَيرتُها
ورُدَّ وارِدُها بالغَيظِ حِينَ ظَمِي

كأنّ بالنّارِ ما بالماءِ من بَلَلٍ
حُزناً وبالماءِ ما بالنّارِ من ضَرَمِ

والجنُّ تَهتِفُ والأنوارُ ساطِعةٌ
والحقُّ يَظهَرُ من معنىً ومن كَلِمِ

عَمُوا وصَمُّوا فإعلانُ البشائرِ لَمْ
تُسْمَعْ وبارِقةُ الإنذارِ لَمْ تُشَمِ

من بعدِ ما أخبرَ الأقوامَ كاهِنُهُم
بأنّ دينَهُمُ المُعْوَجَّ لم يَقُمِ

وبعدما عاينوا في الأُفُقِ من شُهُبٍ
مُنقَضَّةٍ وَفْقَ ما في الأرض من صَنَمِ

حتّى غَدا عن طريقِ الوَحيِ مُنهَزِمٌ
من الشّياطينِ يَقفُو إثرَ مُنهَزِمِ

كأنّهم هَرَباً أبطالُ أبرَهةٍ
أو عَسكرٌ بالحَصَى من راحتَيهِ رُمِي

نَبذاً به بعدَ تسبيحٍ ببطنِهِما
نَبْذَ المُسَبِّحِ من أحشاءِ مُلتَقِمِ

عَمُوا وصَمُوا فإعْلانُ البَشائِرِ لَمْ
تُسْمَع وبارِقَةُ الإنْذارِ لَمْ تُشَمِ

من بعدِ ما أخْبَرَ الأقوامَ كَاهِنُهُم
بأنَّ دينَهُمُ المُعْوَجَّ لم يَقُمِ

وبعدما عاينوا في الأُفُقِ من شُهُبٍ
مُنقَضَّةٍ وَفْقَ ما في الأرض من صَنَمِ

حتّى غَدَا عن طريقِ الوَحْيِ مُنْهَزِمٌ
مِن الشَّيَاطينِ يَقْفُو إثْرَ مُنْهَزِمِ

كأنَّهُمْ هَرَباً أبطالُ أَبْرَهَةٍ
أو عَسكَرٌ بالحَصَىٰ من راحتَيْه رُمِي

نَبْذاً به بعد تَسبيحٍ ببطنِهِمَا
نَبْذَ المُسَبِّحِ مِن أحْشَاءِ مُلتَقِمِ

الفصل الخامس

في معجزاته ﷺ

جاءتْ لِدَعْوتِه الأشجارُ ساجدةً
تَمشي إليه على ساقٍ بلا قَدَمِ

كأنَّما سَطَرَتْ سَطراً لِمَا كَتَبَتْ
فُروعُها من بَديعِ الخطِّ بالقَلَمِ

مِثلَ الغَمامَةِ أنَّىٰ سارَ سائرةً
تقيه حرَّ وطيسٍ للهَجيرِ حَمِي

أقسَمتُ بالقَمَرِ المنشَقِّ إنَّ لَهُ
مِنْ قلبه نسبةً مَبرورةَ القَسَمِ

وما حَوَى الغارُ من خَيرٍ ومن كَرَمِ
وكلُّ طَرفٍ من الكُفّارِ عَنه عَمِي

فالصِّدقُ في الغارِ والصِّدّيقُ لم يَرِمَا
وهُم يقولونَ ما بالغارِ من أرِمِ

ظَنُّوا الحَمَامَ وظنُّوا العَنكَبُوتَ على
خَيرِ البريَّةِ لم تَنسُجْ ولم تَحُمِ

وِقَايَةُ اللّه أغنَت عن مُضَاعفَةٍ
مِن الدُّروعِ وعَن عالٍ مِن الأُطُم

ما سامَني الدَّهر ضَيماً وآستَجرتُ به
إلاّ ونِلتُ جِوَاراً منه لم يُضَم

ولا آلتَمَستُ غِنى الدَّارَين من يَدِه
إلاّ آستَلَمتُ النَّدَىٰ من خَير مُستَلم

لا تُنكِرِ الوحيَ من رُؤيَاهُ إنّ له
قلباً متى[1] نامتِ العَينَان لم يَنَم

وذاكَ حِينَ بُلوغٍ من نُبُوَّتِه
فلَيس يُنكَرُ فيه حالُ مُحتَلِم

تبارَك اللّهُ ما وحيٌ بمُكتَسَبٍ
ولا نَبيٌّ علىٰ غَيبٍ بِمُتَّهَم

كم أبرأتْ وَصِباً باللَّمس راحتُه
وأَطلَقتْ إرَباً من رِبقَة اللَّمَم

وأحيَت السَّنَةَ الشّهباءَ دعوتُه
حتَّىٰ حكَت غُرَّةً في الأعصُر الدُّهُم

بعارِضٍ جادَ أو خِلتَ البِطاحَ بها
سَيبٌ من اليَمّ أو سَيلٌ من العَرِم

(١) في نسخة أخرى: «إذا».

الفصل السادس

في شرف القرآن ومدحه

دَعني ووَصفيَ آياتٍ له ظَهَرَتْ
ظُهورَ نارِ القِرَىٰ ليلاً على عَلَم

فالدُّرُّ يَزدادُ حُسناً وهو مُنتَظِمٌ
وليس يَنقُصُ قَدراً غيرَ مُنتَظِم

فما تَطاوُلُ آمالُ المديحِ إلىٰ
ما فيه من كَرَمِ الأخلاقِ والشِّيَمِ

آياتُ حقٍّ من الرَّحمٰن مُحدَثةٌ
قديمةٌ صِفةُ الموصُوف بالقِدَمِ

لم تَقتَرِنْ بِزمانٍ وهي تُخبِرُنا
عن المَعادِ وعن عادٍ وعن إرَم

دامتْ لدَينا ففاقَت كلَّ مُعجِزَةٍ
من النَّبيِّينَ إذْ جاءَت ولم تَدُم

مُحكَمَاتٌ فما تُبقِينَ من شُبَهٍ
لِذِي شِقاقٍ وما[1] تَبغِينَ من حَكَمِ

ما حُورِبَتْ قَطُّ إلاَّ عادَ من حَرَبٍ
أَعْدَى الأعادي إليها مُلقِيَ السَّلَمِ

رَدَّتْ بلاغتُها دعوى مُعارِضِها
رَدَّ الغَيُورِ يَدَ الجاني عن الحُرَمِ

لها مَعانٍ كَمَوْجِ البَحرِ في مَدَدٍ
وفوقَ جوهَرِهِ في الحُسْنِ والقِيَمِ

فما تُعَدُّ ولا تُحصَى عَجائِبُها
ولا تُسَامُ على الإكثارِ بالسَّأَمِ

قَرَّتْ بها عَيْنُ قارِيها فقُلْتُ لَهُ
لَقَدْ ظَفِرتَ بحَبْلِ اللّهِ فاعتَصِمِ

إنْ تَتلُها خِيفةً من حرِّ نارِ لَظَى
أطفأتَ حرَّ لَظَى مِنْ وِرْدِها الشَّبِمِ

كَأنَّها الحَوضُ تَبيَضُّ الوُجوهُ به
مِنَ العُصاةِ وقد جاؤوه كالحُمَمِ

---

(١) في نسخة أخرى: «ولا».

وكالصِّراطِ وكالميزانِ مَعْدَلَةً
فالقِسطُ من غَيرِها في النّاسِ لم يَقُمِ

لا تَعجَبَنْ لحَسُودٍ راحَ يُنكِرُها
تَجاهُلاً وَهُوَ عينُ الحاذِقِ الفَهِمِ

قد تُنكِرُ العينُ ضَوءَ الشَّمسِ من رَمَدٍ
ويُنكِرُ الفَمُ طَعْمَ الماءِ من سَقَمِ

الفصل السابع

في إسرائه ومعراجه ﷺ

يا خيرَ من يَمَّمَ العافُون ساحتَهُ

سَعْياً وفوقَ مُتونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ

ومَن هو الآيةُ الكُبرىٰ لمعتبرٍ

ومَن هُو النِّعْمَةُ العُظمىٰ لمُغْتَنِمِ

سَرَيْتَ من حَرَمٍ ليلاً إلىٰ حَرَمِ

كما سَرى البَدْرُ في داجٍ من الظُّلَمِ

وبِتَّ تَرْقىٰ إلىٰ أنْ نِلْتَ مَنزلَةً

من قابِ قَوْسَيْنِ لم تُدْرَكْ ولم تُرَمِ

وقدَّمتْك جميعُ الأنبياءِ بها

والرُّسُلِ تَقديمَ مَخدومٍ على خَدَمِ

وأنتَ تَختَرِقُ السَّبْعَ الطِّباقَ بهِمْ

في مَوْكِبٍ كنتَ فيه صاحبَ العَلَمِ

حتىٰ إذا لم تَدَعْ شَأْواً لمستَبِقٍ

منَ الدُّنُوِّ ولا مَرْقىً لمستَنِمِ

خفَضتَ كُلَّ مقامٍ بالإضافةِ إذْ

نُودِيتَ بالرَّفْعِ مِثْلَ المُفْرَدِ العَلَمِ

كَيْما تَفوزَ بِوَصْلٍ أيِّ مُستَتِرٍ

عنِ العُيونِ وسِرٍّ أيِّ مُكتَتِمِ

فَحُزْتَ كلَّ فَخارٍ غيرِ مُشتَرَكٍ

وجُزْتَ كلَّ مقامٍ غيرِ مُزدَحِمِ

وَجَلَّ مِقدارُ ما وُلِّيتَ من رُتَبٍ

وعَزَّ إدراكُ ما أُولِيتَ من نِعَمِ

بُشرىٰ لنا مَعْشَرَ الإسلامِ إنَّ لنا

منَ العِنايةِ رُكْناً غيرَ مُنهَدِمِ

لمَّا دعا اللهُ داعينا لِطاعَتِهِ

بأكرَمِ الرُّسُلِ كُنّا أكرمَ الأُمَمِ

الفصل الثامن

في جهاد النبي ﷺ

راعَتْ قُلوبَ العِدا أنباءُ بِعثَتِهِ
كنبأةٍ أجفلَتْ غُفلاً من الغَنَمِ

ما زالَ يَلقاهُمُ في كلِّ مُعتَرَكٍ
حتّى حكَوا بالقَنا لحماً على وَضَمِ

وَدُّوا الفِرارَ فَكادُوا يَغبِطُونَ به
أشلاءَ شالَتْ معَ العِقبانِ والرَّخَمِ

تَمضي اللّيالي ولا يَدرونَ عِدَّتَها
ما لم تكُنْ من لَيالي الأشهُرِ الحُرُمِ

كأنّما الدِّينُ ضَيفٌ حلَّ ساحَتَهُم
بكلِّ قَرْمٍ إلى لَحمِ العِدا قَرِمِ

يَجُرُّ بحرَ خَميسٍ فوقَ سابِحَةٍ
يَرمي بمَوجٍ من الأبطالِ مُلتَطِمِ

من كلِّ منتَدِبٍ للهِ مُحتَسِبٍ
يَسطو بمُستأصِلٍ للكُفرِ مُصطَلِمِ

حتّى غَدَتْ ملّةُ الإسلامِ وهيَ بِهِمْ
مِنْ بعدِ غُربَتِها مَوصولةَ الرَّحِمِ

مَكفُولةً أبداً منهم بِخَيرِ أبٍ
وخَيرِ بَعلٍ فلم تَيتَمْ ولم تَئِمِ

هُمُ الجِبالُ فَسَلْ عنهم مُصادِمَهُمْ
ماذا رأى منهُمُ في كلِّ مُصطَدَمِ

وسَلْ حُنَيناً وسَلْ بدراً وسَلْ أُحُداً
فُصولُ حَتفٍ لهم أدهَى مِنَ الوَخَمِ

المُصدِرِي البِيضِ حُمْراً بعدما وَرَدَتْ
مِنَ العِدا كلَّ مُسوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ

والكاتِبينَ بِسُمْرِ الخطِّ ما تَرَكَتْ
أقلامُهُم حرفَ جِسمٍ غيرَ مُنعَجِمِ

شاكي السِّلاحِ لهم سِيما تُمَيِّزُهم
والوَرْدُ يَمتازُ بالسِّيما عنِ السَّلَمِ

تُهدي إليكَ رِياحُ النَّصرِ نَشرَهُمُ
فتَحسَبُ الزَّهرَ في الأكمامِ كلَّ كَمِي

كأنّهم في ظُهورِ الخيلِ نَبْتُ رُباً
مِن شِدّةِ الحَزمِ لا مِنْ شَدّةِ الحُزُمِ

طارتْ قلوبُ العِدا مِنْ بأسهم فَرَقاً
فما تُفَرِّقُ بينَ البَهْمِ والبُهَمِ

ومَنْ تكُنْ برسولِ اللّهِ نُصرَتُهُ
إنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ في آجامِها تَجِمِ

ولن ترىٰ مِنْ وَليٍّ غيرَ مُنتَصِرٍ
بهِ ولا مِنْ عَدوٍّ غيرَ مُنقَصِمِ

أحلَّ أُمَّتَهُ في حِرْزِ مِلَّتِهِ
كاللّيثِ حلَّ مع الأشبالِ في أَجَمِ

كم جَدَّلَتْ كلماتُ اللّهِ مِنْ جَدِلٍ
فيهِ وكم خَصَمَ البُرهانُ مِنْ خَصِمِ

كَفاكَ بالعِلْمِ في الأُمّيِّ مُعجِزَةً
في الجاهليَّةِ والتأديبِ في اليُتُمِ

الفصل التاسع
في التَّوسُّل بالنبي ﷺ

خدمتُهُ بمديحٍ أستقيلُ بهِ
ذُنوبَ عُمرٍ مَضىٰ في الشِّعرِ والخِدَمِ

إذْ قلَّداني ما تُخشىٰ عواقبُهُ
كأنَّني بهما هَدْيٌ من النَّعَمِ

أطعتُ غيَّ الصِّبا في الحالتَيْنِ وما
حصَلتُ إلا على الآثامِ والنَّدَمِ

فيا خسارةَ نفسٍ في تِجارتِها
لم تَشتَرِ الدِّينَ بالدُّنيا ولم تَسُمِ

ومَنْ يَبِعْ آجِلاً منهُ بعاجِلِهِ
يَبِنْ لهُ الغَبْنُ في بَيْعٍ وفي سَلَمِ

إنْ آتِ ذنباً فما عَهدي بمُنتقِضٍ
مِنَ النَّبيِّ ولا حَبلي بمُنصَرِمِ

فإنَّ لي ذِمَّةً منهُ بتَسمِيَتي
محمَّداً وهوَ أوفى الخَلْقِ بالذِّمَمِ

إنْ لم يكُن في مَعادي آخذاً بِيَدي
فضلاً وإلاّ فَقُلْ يا زلّةَ القَدَم

حاشاهُ أنْ يَحْرُمَ الرّاجي مكارِمَه
أو يَرجِعَ الجارُ منه غيرَ مُحتَرم

ومُنذُ ألزمتُ أفكاري مدائِحَه
وجدتُه لخَلاصي خَيرَ مُلتَزِم

ولن يَفُوتَ الغِنىٰ منهُ يداً تَرِبَتْ
إنّ الحَيَا يُنبِتُ الأزهارَ في الأكَم

ولم أُرِد زهرة الدُنيا الّتي اقتطَفَتْ
يدا زُهيرٍ بما أثنَىٰ على هَرِم

الفصل العاشر

في المناجاة وعرض الحاجات

يا أكرمَ الخَلْقِ ما لي مَنْ ألُوذُ به
سِوَاكَ عندَ حُلولِ الحادثِ العَمَمِ

ولن يَضيقَ رسولَ الله جاهُك بي
إذا الكريمُ تَجلّى باسمِ مُنتَقِمِ

فإنَّ مِنْ جُودِك الدُّنيا وضَرَّتَها
ومِنْ عُلومِك عِلمَ اللَّوحِ والقَلَمِ

يا نفسُ لا تَقنَطي من زَلَّةٍ عظُمت
إنَّ الكبائرَ في الغُفرانِ كاللَّمَمِ

لعلَّ رحمةَ ربي حينَ يَقسِمُها
تأتي علىٰ حَسَبِ العِصيانِ في القِسَمِ

يا ربِّ واجعَل رجائي غيرَ مُنعَكِسٍ
لديكَ واجعَل حسابي غيرَ مُنخَرِمِ

والطُفْ بعَبدِك في الدّارَيْنِ إنّ له
صَبراً متىٰ تدعُه الأهوالُ ينهَزِمِ

وأذَن لِسُحْبِ صلاةٍ منكَ دائمةٍ

على النَّبيِّ بمُنهَلٍ ومُنسَجِم

والآلِ والصَّحبِ ثُمَّ التابعينَ لَهُم

أهلُ التُّقى وَالنَّقا والحِلْمِ والكَرَمِ

ما رنَّحت عَذَبَاتِ البانِ ريحُ صَباً

وأطربَ العِيسَ حاديَ العِيسِ بالنَّغَم

ثم الرِّضا عن أبي بكرٍ وعن عُمرٍ

وعن عليٍ وعن عُثمانَ ذي الكَرَم

يا ربِّ بالمصطَفى بلِّغْ مقاصِدَنا

واغْفِر لنا ما مضى يا واسِعَ الكَرَم

واغفرِ إلهي لكلِّ المسلِمينَ بما

يَتلُونَ في المسْجِدِ الأقصَى وفي الحَرَم

بِجَاهِ من بيتُه في طَيْبَةٍ حَرَمٌ

واسمُه قَسَمٌ مِنْ أعْظَمِ القَسَمِ

وهذه بُردة المختارِ قد خُتِمَتْ

والحمدُ للهِ في بَدْءٍ وفي خَتَمِ

أبياتُها قد أتَتْ ستِّينَ مع مِائَةٍ

فرِّجْ بها كَربَنا يا واسعَ الكَرَم

- **القصيدة المحمدية**
- **القصيدة المضرية**
- **قصيدة الإمام العدني**

القصيدة المحمدية

مُحَمَّدٌ أَشْرَفُ الأعْرَابِ والْعَجَمِ

مُحَمَّدٌ خَيْرُ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ قَدَمِ

مُحَمَّدٌ بَاسِطُ الْمَعْرُوفِ جَامِعُهُ

مُحَمَّدٌ صَاحِبُ الإحْسَانِ وَالْكَرَمِ

مُحَمَّدٌ تَاجُ رُسْلِ اللّٰهِ قَاطِبَةً

مُحَمَّدٌ صَادِقُ الأقْوَالِ وَالْكَلِمِ

مُحَمَّدٌ ثَابِتُ الْمِيثَاقِ حَافِظُهُ

مُحَمَّدٌ طَيِّبُ الأخْلاَقِ والشِّيَمِ

مُحَمَّدٌ جُبِلَتْ بِالنُّورِ طِينَتُهُ

مُحَمَّدٌ لَمْ يَزَلْ نُوراً مِنَ الْقِدَمِ

مُحَمَّدٌ حَاكِمٌ بِالْعَدْلِ ذُو شَرَفِ

مُحَمَّدٌ مَعْدِنُ الإنْعَامِ وَالْحِكَمِ

مُحَمَّدٌ خَيْر خَلْقِ اللّٰهِ مِنْ مُضَرِ

مُحَمَّدٌ خَيْرُ رُسْلِ اللّٰهِ كُلِّهِمِ

مُحَمَّدٌ دِينُهُ حَقٌّ نَدِينُ بِهِ
مُحَمَّدٌ مُشْرِقٌ حَقًّا عَلَى عَلَمِ

مُحَمَّدٌ ذِكْرُهُ رُوحٌ لأَنْفُسِنَا
مُحَمَّدٌ شُكْرُهُ فَرْضٌ عَلَى الأُمَمِ

مُحَمَّدٌ زِينَةُ الدُّنْيَا وَبَهْجَتُهَا
مُحَمَّدٌ كَاشِفُ الْغُمَّاتِ وَالظُّلَمِ

مُحَمَّدٌ سَيِّدٌ طَابَتْ مَنَاقِبُهُ
مُحَمَّدٌ صَاغَهُ الرَّحْمٰنُ بِالنِّعَمِ

مُحَمَّدٌ صَفْوَةُ الْبَارِي وَخِيرَتُهُ
مُحَمَّدٌ طَاهِرٌ مِنْ سَائِرِ التُّهَمِ

مُحَمَّدٌ ضَاحِكٌ لِلضَّيْفِ مُكْرِمُهُ
مُحَمَّدٌ جَارُهُ وَاللَّهِ لَمْ يُضَمِ

مُحَمَّدٌ طَابَتِ الدُّنْيَا بِبَعْثَتِهِ
مُحَمَّدٌ جَاءَ بِالآيَاتِ وَالْحِكَمِ

مُحَمَّدٌ يَوْمَ بَعْثِ النَّاسِ شَافِعُنَا
مُحَمَّدٌ نُورُهُ الْهَادِي مِنَ الظُّلَمِ

مُحَمَّدٌ قَائِمٌ لِلَّهِ ذُو هِمَمِ
مُحَمَّدٌ خَاتَمٌ لِلرُّسْلِ كُلِّهِمِ

القصيدة المضرية

يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرِ
وَالأَنْبِيَاءِ وَجَمِيعِ الرُّسْلِ مَا ذُكِرُوا

وَصَلِّ رَبِّ عَلَى الْهَادِي وَشِيعَتِهِ
وَصَحْبِهِ مَنْ لِطَيِّ الدِّينِ قَدْ نَشَرُوا

وَجَاهَدُوا مَعَهُ فِي اللَّهِ وَاجْتَهَدُوا
وَهَاجَرُوا وَلَهُ آوَوْا وَقَدْ نَصَرُوا

وَبَيَّنُوا الْفَرْضَ وَالْمَسْنُونَ وَاعْتَصَبُوا
لِلَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ فَانْتَصَرُوا

أَزْكَى صَلاةٍ وَأَنْمَاهَا وَأَشْرَفَهَا
يُعَطِّرُ الْكَوْنَ رَيًّا نَشْرِهَا الْعَطِرُ

مَعْبُوقَةً بِعَبِيقِ الْمِسْكِ زَاكِيَةً
مِنْ طِيبِهَا أَرَجُ الرِّضْوَانِ يَنْتَشِرُ

عَدَّ الْحَصَى وَالثَّرَى وَالرَّمْلِ يَتْبَعُهَا
نَجْمُ السَّمَا وَنَبَاتُ الأَرْضِ وَالْمَدَرُ

وَعَدَّ وَزْنِ مَثَاقِيلِ الجِبالِ كَما
يَلِيهِ قَطْرُ جَمِيعِ الماءِ والمَطَرُ

وَعَدَّ ما حَوَتِ الأَشْجارُ مِنْ وَرَقٍ
وَكُلِّ حَرْفٍ غَدا يُتْلَى وَيُسْتَطَرُ

والوَحْشِ وَالطَّيْرِ وَالأَسْمَاكِ مَعْ نَعَمٍ
يَلِيهِمُ الجِنُّ والأَمْلاكُ وَالبَشَرُ

وَالذَّرُّ والنَّمْلُ مَعْ جَمْعِ الحُبُوبِ كَذا
والشَّعْرُ والصُّوفُ والأَرْياشُ والوَبَرُ

وَما أَحاطَ بِهِ العِلْمُ المُحِيطُ وَما
جَرَى بِهِ القَلَمُ المأمورُ والقَدَرُ

وَعَدَّ نَعْمائِكَ اللاتي مَنَنْتَ بِها
عَلَى الخَلائِقِ مُذْ كانوا وَمُذْ حُشِرُوا

وَعَدَّ مِقْدارِهِ السامي الَّذي شَرُفَتْ
بِهِ النَّبِيُّونَ والأَمْلاكُ وَافْتَخَرُوا

وَعَدَّ ما كانَ في الأَكْوانِ يا سَنَدي
وَما يَكُونُ إِلَى أَنْ تُبْعَثَ الصُّوَرُ

في كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ يَطْرِفُونَ بِها
أَهْلُ السَّمواتِ والأَرَضِينَ أَوْ يَذَرُوا

مِلْءَ السَّمواتِ والأَرَضِينَ مَعْ جَبَلٍ
والفَرْشِ والعَرْشِ والكُرْسِي وَما حَصَروا

ما أَعْدَمَ اللَّهُ مَوْجوداً وَأَوْجَدَ مَعْـ
ـدُوماً صَلاةً دَواماً لَيْسَ تَنْحَصِرُ

تَسْتَغْرِقُ العَدَّ مَعْ جَمْعِ الدُّهُورِ كَما
تُحِيطُ بِالحَدِّ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ

لا غايَةَ وَانْتِهاءَ يا عَظِيمُ لَها
وَلا لَها أَمَدٌ يُقْضَى فَيُعْتَبَرُ

وَعَدَّ أَضْعافِ ما قَدْ مَرَّ مِنْ عَدَدٍ
مَعْ ضِعْفِ أَضْعافِهِ يا مَنْ لَهُ القَدَرُ

كَما تُحِبُّ وَتَرْضَى سَيِّدي وَكَما
أَمَرْتَنا أَنْ نُصَلِّي أَنْتَ مُقْتَدِرُ

مَعَ السَّلامِ كَما قَدْ مَرَّ مِنْ عَدَدٍ
رَبِّ وَضاعِفْهُما والفَضْلُ مُنْتَشِرُ

وَكُلُّ ذَلِكَ مَضْروبٌ بِحَقِّكَ في
أَنْفاسِ خَلْقِكَ إِنْ قَلُّوا وَإِنْ كَثُرُوا

يا رَبِّ وَاغْفِرْ لِقارِيها وَسامِعِها
وَالمُسْلِمِينَ جَمِيعاً أَيْنَما حَضَروا

وَوالدينا وَأهْلينا وَجيرَتِنا
وَكُلُّنا سَيِّدي لِلْعَفْوِ مُفْتَقِرُ

وَقَدْ أتَيْتُ ذُنوباً لا عِدادَ لَها
لَكِنَّ عَفْوَكَ لا يُبْقي وَلا يَذَرُ

والهَمُّ عَنْ كُلِّ ما أبْغيهِ أشْغَلَني
وَقَدْ أتى خاضِعاً وَالقَلْبُ مُنْكَسِرُ

أرْجوكَ يا رَبِّ في الدّارَيْنِ تَرْحَمُنا
بِجاهِ مَنْ في يَدَيْهِ سَبَّحَ الحَجَرُ

يا رَبِّ أعْظِمْ لَنا أجْراً وَمَغْفِرَةً
فَإنَّ جُودَكَ بَحْرٌ لَيْسَ يَنْحَصِرُ

وَاقْضِ ديوناً لَها الأخْلاقُ ضائِقَةٌ
وَفَرِّجِ الكَرْبَ عَنّا أنْتَ مُقْتَدِرُ

وَكُنْ لَطيفاً بِنا في كُلِّ نازِلَةٍ
لُطْفاً جَميلاً بِهِ الأهْوالُ تَنْحَسِرُ

بِالمُصْطَفى المُجْتَبى خَيْرِ الأنامِ وَمَنْ
جَلالَةً نَزَلَتْ في مَدْحِهِ السُّوَرُ

ثُمَّ الصَّلاةُ عَلى المُخْتارِ ما طَلَعَتْ
شَمْسُ النَّهارِ وَما قَدْ شَعْشَعَ القَمَرُ

ثُمَّ الرِّضا عَنْ أبي بَكْرٍ خَليفَتِهِ
مَنْ قامَ مِنْ بَعْدِهِ لِلدّينِ يَنْتَصِرُ

وَعَنْ أبي حَفْصٍ الفارُوقِ صاحِبِهِ
مَنْ قَوْلُهُ الفَصْلُ في أحْكامِهِ عُمَرُ

وَجُدْ لِعُثْمانَ ذي النُّورَيْنِ مَنْ كَمُلَتْ
لَهُ المَحاسِنُ في الدّارَيْنِ والظَّفَرُ

كَذا عَلِيٌّ مَعَ ابْنَيْهِ وَأُمِّهِما
أهْلُ العَباءِ كَما قَدْ جاءَنا الخَبَرُ

سَعْدٌ سَعيدُ ابْنُ عَوْفٍ طَلْحَةُ وَأبو
عُبَيْدَةٍ وَزُبَيْرٌ سادَةٌ غُرَرُ

وَحَمْزَةٌ وَكَذا العَبّاسُ سَيِّدُنا
وَنَجْلُهُ الحَبْرُ مَنْ زالَتْ بِهِ الغِيَرُ

وَالآلِ وَالصَّحْبِ والأتْباعِ قاطِبَةً
ما جَنَّ لَيْلُ الدَّياجي أوْ بَدا السَّحَرُ

قصيدة الإمام العدني

بِبِسْمِ اللَّهِ مَوْلانا ابْتَدَيْنا
وَنَحْمَدُهُ عَلَىٰ نَعْماهُ فِينا

تَوَسَّلْنا بِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ
غِياثِ الخَلْقِ رَبِّ العالَمِينا

وَبِالأَسْماءِ ما وَرَدَتْ بِنَصٍّ
وَما فِي الغَيْبِ مَخْزوناً مَصوناً

بِكُلِّ كِتابٍ أَنْزَلَهُ تَعالَىٰ
وَقُرْآنٍ شِفا لِلْمُؤْمِنِينا

بِكُلِّ طَوائِفِ الأَمْلاكِ نَدْعو
بِما فِي غَيْبِ رَبِّي أَجْمَعِينا

وَبِالهادي تَوَسَّلْنا وَلُذْنا
وَكُلِّ الأَنْبِيا وَالْمُرْسَلِينا

وَآلِهِمِ مَعَ الأَصْحابِ جَمْعاً
تَوَسَّلْنا وَكُلِّ التّابِعِينا

وَبِالعُلَما بِأَمْرِ اللَّهِ طُرّاً
وَكُلِّ الأَوْلِيا وَالصّالِحِينا

أَخُصُّ بِهِ الإِمامَ القُطْبَ حَقّاً
وَجِيهَ الدِّينِ تاجَ العارِفِينا

رَقَىٰ فِي رُتْبَةِ التَّمْكِينِ مَرْقَىٰ
وَقَدْ جَمَعَ الشَّرِيعَةَ وَاليَقِينا

وَذِكْرُ العَيْدَروسِ القُطْبِ أَجْلَىٰ
عَنِ القَلْبِ الصَّدا لِلصّادِقِينا

عَفِيفِ الدِّينِ مُحْيِي الدِّينِ حَقّاً
لَهُ تَحْكِيمُنا وَبِهِ اقْتَدَيْنا

وَلا تَنْسَ كَمالَ الدِّينِ سَعْداً
عَظِيمَ الحالِ تاجَ العابِدِينا

بِهِمْ نَدْعُو إِلَىٰ المَوْلَىٰ تَعالَىٰ
بِغُفْرانٍ يَعُمُّ الحاضِرِينا

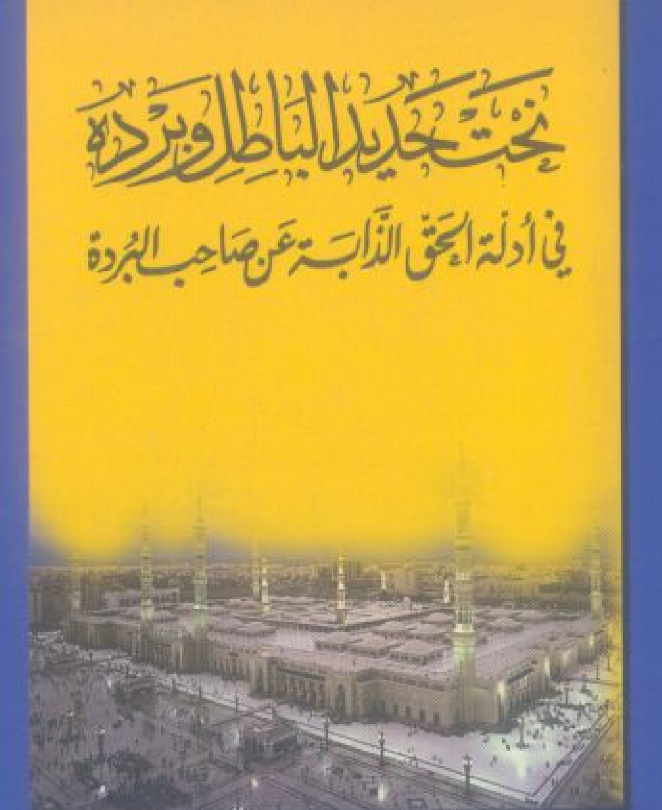
وَلُطْفٍ شامِلٍ وَدَوامِ سَتْرٍ
وَغُفْرانٍ لِكُلِّ المُذْنِبِينا

وَنَخْتِمُها بِتَحْصِينٍ عَظِيمٍ
بِحَوْلِ اللَّهِ لا يُقْدَرْ عَلَيْنا

وَسَتْرُ اللهِ مَسْبُولٌ عَلَيْنَا
وَعَيْنُ اللهِ نَاظِرَةٌ إِلَيْنَا

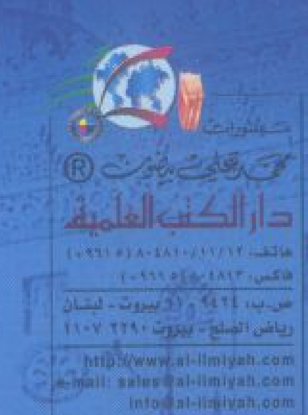
وَنَخْتِمُ بِالصَّلاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ
إِمَامِ الكُلِّ خَيْرِ الشَّافِعِينَا

الفهرست العام لموضوعات الكتاب





ISBN 2-7451-4471-5



منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ (٥+٩٦١)
فاكس: ٨٠٤٨١٣ (٥+٩٦١)
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ١١٠٧ ٢٢٩٠
http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com